



الرِّسَالَةُ الشَّافِيَّةُ

في بعض التواريخ وأنساب بني ميزاب
وفوائد أخرى

للشيخ العلامة

قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش رحمته الله

(ت 1332هـ/1914م)

صَبَّطُ النَّصِّ

الناصر بن حمو أويابه

بسم الله الرحمن الرحيم :: وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمة المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم: "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"، الحمد لله - وللحمد خلقنا - على ما منحنا من نعم الدين والدنيا ورزقنا، والشكر له على ما أفهمنا من البراهين ومكننا من الذبّ عن الدين المستبين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم والجن والملائكة وغيرهما من العالم، من نطقت به التوراة والإنجيل وغيره من كتب الرحمن، كما أفصحت به الجمادات وكتاب الله القرآن، وآله وصحبه من العرب والعجم، أعظم صلاة وأكمل سلام وأتم.

وبعد: فيقول محمد بن الحاج يوسف اطفيش الميزابي: أنه طلب مني خواص أهل قرى بني ميزاب بعد ما صنّفت "رد الشرود إلى الحوض المورود" أن أصنف لهم رسالة مختصرة أبين لهم فيها أشياء سترها إن شاء الله تعالى، فاستجبت وزدت فوائد ودعوت الله أن يعينني ورجوت أن يقبل مني صالح عملي ويرد سيئاتي حسنات.

الباب الأول من الرسالة

فيما جاءت به التوراة والإنجيل وغيرها من إثبات رسالة نبينا ﷺ ونفي الشركة عن الله تعالى، وتحريم الخمر والخنزير:

ففي الباب الثامن من الإنجيل المنسوب إلى متى "أنه استقبل عيسى عليه السلام مجنونان خارجان من المقابر قاسيان جدا حتى أنه لم يقدر أحد يجتاز في تلك الطريق فصاحا قائلين: مالنا ولك يا يسوع، أجبنا هاهنا لتعذبنا قبل الزمان، وليس بعيدا منهم قطع خنازير كثيرة ترعى، فطلب إليه الشياطين قائلين: إن كنت تخرجنا من هاهنا فأرسلنا إلى قطع الخنازير، فقال لهم اذهبوا وهم لما خرجوا مضوا إلى الخنازير فها هو

ذا القطيع كله قد وثبت على جرف وتواقع في البحر وماتت في المياه" انتهى بلفظه.
فلولا أن الخنازير حرام لم يرسل إليها المجنونين تفسد بهما.

وفي الباب الثالث عشر منه: "أن عيسى جاء إلى وطنه وكان يعلمهم في مجامعهم حتى أنهم بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات أليست أمه تسمى مريم؟ فقال يسوع ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته" انتهى. ويسوع هو عيسى عليه السلام فانظر إنه قال إنه نبي، والنبي ليس إلهًا كما لا يكون هو ولا غيره ابن إله، والإله تعالى عن الأبوة.

وفي الباب الحادي والعشرون: "أن يسوع أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فتجدا سريعا أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما واتياي بهما، فإن قال لكما أحد شيئا فقولوا إن الرب محتاج إليهما فهو يرسلهما للوقت، فذهبا وصنعا كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش وتركوا ثيابهما عليهما وأجلسوه فوقهما" انتهى.

وفي التاسع عشر من إنجيل لوقا: "فانظر أكاذيب هؤلاء الأخبثين فإن عيسى ليس بالإله، فالإله لا يحتاج، والإله لا يركب الأتان ولا غيرها - وهي أنثى الحمير - والإله لا يعي ولا يتحيز، وليس جسما ولا عرضا ولا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء.

وفي الباب الثالث والعشرين منه: "إني أنا أقول لكم لا تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب" انتهى. ومبارك الآتي باسم الرب هو نبينا محمد ﷺ.

وفي الباب السادس والعشرين منه قال رئيس الكهنة: "اقسم عليك بالله الحي أن تقول لنا: إن كنت أنت المسيح ابن الله؛ قال له يسوع: أنت قلت" انتهى. والمعنى أنا بريء من قولك المسيح ابن الله، وإنما هو بهتان منك، فلو كان كذلك لم ينتف من نسبه، ففي جميع الشرائع لا يحل لأحد الانتفاء من نسبه، ولا يحل له أن يكتم ما هو من شأنه أن يظهره.

وفي الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس: الوصية الأولى: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهك إله واحد"، وفي وصية أخرى بعد هذه: "أن الله واحد وليس آخر غيره" انتهى. فليس عيسى إلهًا.

وفي الباب الرابع عشر منه عن عيسى عليه السلام: "أنني لا أشرب من عصير الكرمة هذا إلى ذلك اليوم إذا شربته جديدا في ملكوت الله" انتهى. فانتفى من شرب الخمر في الدنيا لأنها حرام وأثبت شربها في الجنة، فبطل قول بعض النصارى: إنما تبعث الأرواح، وقول بعض النصارى: تبعث الأجساد ولا تأكل ولا تشرب، والقرءان مكذب لهم جميعا وهو القاضي على كتب الله عز وجل.

وفي الباب العاشر من إنجيل لوقا عن عيسى أنه أرسل اثنين وسبعين، اثنين إلى كل مدينة وقال لهم: "لا تسلموا على أحد في الطريق، وأي بيت دخلتموه فقولوا أولا: السلام لأهل هذا البيت" انتهى. ولم دخلت دارا يا مسكر بلا سلام، فإن صبح عن عيسى فالنهي عن السلام في الطريق مخصوص بهؤلاء الاثنين والسبعين.

وفي الباب الرابع عشر من إنجيل لوقا: "طوبى لمن يأكل خبزا في ملكوت الله" انتهى. فأثبت الأكل في الملكوت، ومن الملكوت الجنة بل المراد الجنة.

وفي الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا وهو يحيى: "وإذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي وهو يمجدني" انتهى. وعني بذلك نبينا محمد ﷺ.

قال الشيخ أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي كذا وجدت نسبه بهذا الترتيب: اعلم رحمك الله إنه في عام ستة وتسعين وتسعمائة من الهجرة ومن حساب النصارى عام ثمانية وثمانين وخمسمائة وألف، أمر القسيس الكبير بمدينة غرناطة بهدم صومعة قديمة كانت في الجامع الكبير، وكانت تسمى من قديم الزمان توبانة قبل الإسلام، وذلك بعد أن بينوا صومعة قريبا منها عالية جدا،

ولما أن هدموا القديمة وجدوا في حائطها صندوقا من حجر وفي داخله صندوقا من رصاص وفيه وجدوا رقا كبيرا مكتوبا بالعربية والعجمية المتصرفة في بلاد الأندلس، وفي صدره بسم الذات الملتببية بلام متصلة بالميم ولا حرف بينهما وهو مأخوذ من لب الشيء معناه الذات الخالصة لا مركبة ولا ممزوجة، وذلك هو الله سبحانه عن كل نقص.

قال محمد اطفيش: الحجر الأحمر بلد بالأندلس وغرناطة، بلد فيها أيضا وهذا اللفظ معرب اكرناد أو أغرناد ومعناه رمانة، شبهوا القرية بالرمانة في الاستدارة والصغر، وهو بلغة اسبانيا، وما يذكر في كتب النحو من أن أغرناطة بالهمزة خطأ، إنما هو بالنظر إلى التعريب.

قال أحمد بن قاسم: وجدنا مما يكون نقد كمال ستة قرون من ميلاد عيسى عليه السلام من عمرات الشرقيين: "إني ملك جاني بالانشرار، على الموجود قائم بتمام القدر قد انتصار، يا مالكا دائما من هذا الأمر أين الفرار، وملك يتحكم على الوجود كله إلى الغروب، ودين يتقدم على من أملاه من العيوب، والسر يتفهم بما القدر أعطاه على الذنوب".

قال أحمد بن قاسم: هذا الملك هو النبي ﷺ محمد لأن النصارى يقولون ولد سيدنا محمد ﷺ لإحدى وعشرين سنة وستمائة من ميلاد عيسى عليه السلام.

قال المؤلف محمد اطفيش: سموه ملكا بكسر اللام لعلوه وعلو دينه على غيره، وإلا فهو رسول لا ملك، ومحط الكلام هو قوله: أن دينه يتقدم على من أملاه بالعيوب، والذين أملاوه بالعيوب هم اليهود والنصارى قال الله عز وجل: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [الصف:9].

قال أحمد بن قاسم: وفي معنى الجاني اختلف المترجمون فأما الشيخ صالح الجبّس وأنا، فقلنا: هو اسم فاعل من جنى قال الله تعالى في القرآن العزيز: "وَجَنَّا الْجَنَّاتِ ذَانِ" [سورة الرمان 54].

قال المؤلف محمد اطفيش: أنه يأتي للناس بالوحي من الله كما يجني الإنسان الثمار من الشجرة ويأتي بها أهله، أو أراد أنه يقتل و يسلب من خالف دينه بالحروب، وشبه الصور بصورة من يجني بالشر جنانية.

قال أحمد بن قاسم: ولما ترجمت أن دينه يتقدم على من أملاه بالعيوب، قال القسيس هذه الترجمة كيف هي؟، قلت: أنت تعرف تقرأ وترجم لك كل كلمة وحدها، حتى ما أصاب ما يقول، وقد كره ذلك كثيرا لأن الكفار هم الذين أملاوه بالعيوب.

قال أحمد بن قاسم: وكان في أسفل الرق مكتوب بالعربية: أول ما صدر يوحنا في الإنجيل كتبه بطرسي قسيس خادم سسليوه، وقال إنه أمره أن يضعه في موضع خفي حتى يريد الله أن يظهره، وأنه وضع الصندوق في حائط الصومعة خوفا من السلطان نيرون، ولما ترجمت ابتداء الإنجيل وما ذكر فيه قال لي القسيس: انظر هذه الكلمة هل لها معنى غير هذا، قلت: ليس لها إلا هذا المعنى، قال: فاترك موضع الكلمة أبيض لأنه مخالف للإنجيل الذي بأيدينا، قلت في نفسي: هذا الذي كتب في زمان سيدنا محمد بل سيدنا عيسى أو بأثره فهو عندي أصح من الذي عندهم الآن.

وكان بالترق أيضا: من القبلية يخرج الحاكم العدل ولا يعود، انظر هل يدل على النبي ﷺ لأنه بعد افتتاح مكة المشرفة وهي القبلية، فبعد حجة الوداع خرج منها ولا عاد إليها، وهذه عبارته بلفظها. قال المؤلف الشيخ محمد اطفيش: المراد أنه بعد هجر سكناها لم يرجع إليها للسكنى.

قال أحمد بن قاسم: هذا الرّقّ القديم كان من زمان سيدنا عيسى عليه السلام، أو قريب بعده جدا، لأن سِسلِيُوهُ هو الذي كتبه ووضع في الصومعة خوفا من السلطان نيرون كما قال هو فيه لأنه كان يقتل من يؤمن بعيسى عليه السلام، وحروف ذلك الرّقّ بالمشريقي للقاف نقطتان من فوق، وهذا برهان أن المشاركة في ذلك على العهد القديم بخلاف المغاربة، قاله أحمد بن قاسم.

وقال أيضا: ووجدوا في خندق الجنة في غار منها، قال المؤلف أحمد اطفيش: لعل خندق الجنة هو قارطجنة، ويقال: قرطاجنة وقرطاجة، والمراد قرطاجنة التي في الأندلس اثنين وسبعين كتابا.

قال أحمد بن قاسم: والورق من الرصاص، ونادى القسيس الكبير الصوّاغين والمذوّبين ليصنعوا مثلها في الانحداد ولم يقدرُوا على ذلك بوجه، وعلموا أن الرصاص مزج معه معدن آخر ولا عرفوه، وفي تلك الكتب يأتي في الوجود من بعد روح الله يصوع، نور من الله اسمه الماحي المنور، وبالمعجم البارقليطاس خاتم المرسلين تأييدا، وخاتم الدين ونور الأنبياء، لا نور لهم دونه، ولا لأحد من العالمين، فالذين آمنوا به من بعد يسعدون حق السعادة، وينورون حق التنوير، بالتنوير المبين من الله، ومن كفر به لا حظ له في الجنة، ولكن أكثر الناس كافرون. انتهى.

قال أحمد بن قاسم: قال لي بتونس - حرسها الله - الفقير الإمام الفقيه محمد بن عبد الرّفيع الأندلسي: إن مع ذلك في تلك الكتب سبعة أسماء: نور من الله، الماحي، المنور، البارقليطاس، خاتم المرسلين، خاتم الدين، نور الأنبياء.

قال أحمد بن قاسم: وكان في الكتاب هذه الحروف والخواتم لا إله إلا الله: م: ر: الله، والنقط حول الرء وحول الميم تدل على محمد رسول، أربعة أحرف في كل واحد.

قال أحمد بن قاسم: ذكر لي رجل من علماء النصارى في مدينة مراكش وكان راهبا ثم أسلم وسمي بـرمضان، ثم مشى إلى بلاد السودان ومات بها والله اعلم، وقال لي أن

السلطان مولاي أحمد أمر بإحضاره بين يديه بعد أن علم أنه من علماء النصارى، فقال له: ماذا تقولون في سيدنا عيسى عليه السلام، قال: إنه أحد الثلاثة في الألوهية، أو كما قال، وأنه مات ليخلص العالم من الذنب الأول الذي عمله أبونا آدم، قال له السلطان: أنا أضرب لك مثلا حتى ترى الغلط الذي أنتم عليه؛ فقدّر إني أمرت أنه من يدخل في هذا البستان الذي بدارنا السعيدة نقتله، واتفق أن واحدا ممن علم بالمنع دخل البستان وعصاني، فلما صح ذلك عندي أمرت الخدام أن يأتوني بابني، فلما أحضروه قلت لهم: اقتلوه لأجل دخول فلان في الجنان الذي نهيت الناس عن الدخول فيه، قال للراهب هذه مسألتكم على زعمكم أن عيسى هو ابن الله وقتل، وهل يقول عاقل بمثل هذا القول فخرس الراهب وبهت ولم يجد ما يجاوب به.

قال أحمد بن قاسم: قلت "لأبرت": إذ دخلت أنا وهو على رهبان أعندهم أولاد؟ فقال أما علمت: أن الرهبان لا يتزوجون، قال المؤلف أحمد اطفيش: يعني أنه يلوح إليهم أنه إذا نزه الرهبان أنفسهم عن الولادة فكيف ينسبونها لله، وأنه إن زعموا أنهم تخلوا عن التزوج ليتفرغوا للعبادة فليسوا يعبدون الله بل يعصونه ويشركون به.

قال أحمد بن قاسم قلت للراهب: وعندكم ترك الزواج، قال الراهب: كثيرا يتزوجون، قلت له: ذكر أن السلطان نادى رجلين وأنعم عليهما، فالواحد قبل نعمة السلطان وشكره عليها شكرا دائما، والثاني لم يقبلها أي ومع ذلك زعم أنه يتفرغ بعدم قبولها إلى خدمته، وتفرغ لخدمة عدوه وعصيانه هو، ومع أن السلطان حكيم يرى صلاحه في التزوج ليلد من يعبد الله ويشكره، ولئلا يكون عدم تزوجه ذريعة إلى الزنى.

قال أحمد بن قاسم قال لي الراهب: جاءني اليوم إلهام وبيان مقبول وبرهان رباني يدل على أن سيدنا عيسى عليه السلام كان ابن الله حقيقة، وكان هو أيضا إلهًا وكتبته أتحب أن أتيك به تسمعه، قال له "أبرت": ايتني به، فمشى سريعا لبيته وأتى به وقرأه بالفرنجة وأعجبهما، وقالوا: هذا شيء عجيب، قلت له: ماذا قال في ورقته؟ قال

الراهب: الله تبارك وتعالى حين خلق الدنيا أمر كل شيء من المخلوقات في الدنيا أن يخرج وينبت ويلد على طبعه ونوعه ومثله، ورأى الله تعالى أن ذلك صلاح فعرفت أن هذا القول أخذه من الباب الأول من التوراة، قال لي: ماذا تقول فهل ذلك صلاح قلت: نعم، كل ما أمر الله تعالى به فهو صلاح، قال: حين رأى الله تعالى أنه صلاح أن كل شيء يخرج ويلد على طبعه ومثله أراد هو أن يكون له ولد مثله، قال: ماذا تقول، قلت له: على هذا القياس كان سيدنا عيسى يحتاج أن يكون له ولد مثله وابنه يكون له ابن آخر فتكثر الآلهات إلى مالا نهاية له؛ قلت له: ماذا تقول فبهت وبقي بورقته مبطله غير مقبولة وكذبه ظاهر، قال الله تعالى: "وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِبَائِهِمْ كِبَرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" [الكهف 4 - 5].

قال أحمد بن قاسم: لما التقيت بقاضي الأندلس في فرنجة شكر لي دينه وقال لي مرارا: يا فلان رأيت أنه يليق بك أن ترجع نصرانيا، قلت له: على أي مذهب من مذاهب النصراني؟ قال: ليس لنا إلا مذهب واحد، قلت له: لو كان الله تعالى يحيي نصرانيا من زمان سيدنا عيسى عليه السلام، ثم يحيي الله نصرانيا من كل قرن من القرون الماضية، وجميعها ستة عشر قرنا، فكل واحد منهم يقول لغيره أنهم كفار لما يرى من الزيادة والنقصان عند غيره في الدين، والعقل السليم يحكم بحكم قطعي أن دين الله تعالى لا زيادة فيه ولا نقصان كما هو ديننا، قال القاضي: ديننا كذلك، قلت: دينكم مفتوح للزيادة والنقصان، لأن كل "بابا" له أمر عندكم يزيد وينقص في الدين، ثم قلت: إن أحكامكم وشريعة دينكم مأخوذة من مذهب المجوس الذين كانوا برومة، وكتب شريعتكم مترجمة من كتبهم مثل الكتاب الكبير المسمى ببِلّض وليست مأخوذة من الإنجيل، قال: صدقت.

قال أحمد بن قاسم: فيها أنا ذا أنقل من كتبهم المكتوبة بالقالب، ولا يمكن لأحد ممن يطبع بالقالب إلا بأمر من أصحاب الديوان وبالإجازة، فأما "البابا ليون" فأمر أن النساء يدخلن مغطيات الرؤوس في كنائسهم وأباح أن يعرين سوقهن وأعناقهن وذروعهن فيها وأن يعرين رؤوسهن في غير الكنائس، وأما "البابا ألبرت أناني" فقال وأمر أن كل نكاح يكون بحضرة قسيس، وإن لم يكن بحضرة فهو زنى، وأما "البابا إسكندر" فأمر أن القسيس لا يصلي إلا صلاة واحدة في اليوم وزاد في فرائض الصلاة، وأمر أن الخمر التي يشرب القسيس في أثناء الصلاة يزداد لها ماء ويجعل ماء مبارك على أبواب الكنائس، ومن فرائض الصلاة أن القسيس الذي يؤم النصراني يهياً رغيفا رقيقا قدر كف الإنسان مستديرا فيه صورة سيدنا عيسى عليه السلام، فإذا كان في حال الصلاة التي هي فرض على كل مكلف مرة في اليوم الأحد وبعض أيام المواسم وبعد أن يقرأ الإنجيل وما يناسب لذلك اليوم، وكل يوم له جزء معروف من الإنجيل، قسموا الإنجيل ثلاثمائة وخمسة وستين جزءا، لكل يوم من السنة جزء، وبعد أن يقرأ الإمام الجزء لذلك اليوم، وعند قراءته من الكتاب يكون جميع الناس قائمين منكشفي الرؤوس، ثم يأخذ القسيس القرصة ويرفعها فوق رأسه ليراها المأمومون ويقول كلاما معناه: هذا هو جسدي وهي كلمة مأخوذة من الإنجيل، لأن فيه أن سيدنا عيسى عليه السلام قال للحواريين وهو بخبز في يده: هذا هو جسدي، وقال لهم على الخمر هذا هو دمي، وليس هذا إباحة للخمر، لأنه قد قال: لا أشربها حتى أدخل الجنة، وإذا رفع الخمر في كأس فوق رأسه قال: هذا هو دمي، ويجعل الرغيف في الخمر لترطب قليلا ثم يأكلها ثم يشرب الخمر ثم يرجع بوجهه إلى الناس ويقول لهم: انصرفوا فقد تمت الصلاة، وهم متنحسون باطنا بالشرك والخمر، وظاهرا بها وبسائر الأنجاس، وإن كان للمصلي كلب أو كلاب سبقته إلى الكنيسة ولا ترد وفيها أصنام، وإذا كان الإمام في أثناء الصلاة ضرب آلة الزمر المسمى ارغنش يشتمل على

خمس وعشرين زمرة من نحاس أو غيره، ولها حس قوي لذيد للسمع، وواحد أيضا بصوت نكير لكثرة ربح المزمار، وقبل أن يتم الصلاة ينزل الإمام من المحراب وهو مرتفع بدرج ويده طرف حرير على طول ذراع ويمشي بين الرجال ويمد لهم الشقة يقبلونها، وصبي وراءه بكأس يقبض الدراهم التي يعطونها، وإذا فرغ من الرجال يدخل بين النساء وهن في غاية الزينة وكل واحدة تأخذ الشقة من يده وتقبلها ويعتقدون أن الإمام أعطاهم بذلك العافية، ثم يعود إلى محرابه ويتم الصلاة على ما مر.

وأما "البابا الرومي ششط" فزاد في صلاته كلمة واحدة تقال ثلاث مرات، و"البابا طلش اوناني" افترض الصيام على غير ما كان قبل، وأن القسيس يصلي ثلاث صلوات يوم ميلاد عيسى عليه السلام، وزاد ما يغني به في بعض الصلوات، وبابا آخر: أمر أن من كان قسيسا أو راهبا يقص لحيته، وبابا آخر: سنّ صياما غير الفرض، وبابا آخر: أمر أن الكأس الذي يعملون فيه الخمر للصلاة لا يكون من زجاج كما كان قبل بل من فضة، وبابا آخر: أمر أنه إذا ادعى على نصراني في الأحكام أن لا تقبل دعوة المدعي، إن لم يكن على ملة النصارى، وبابا آخر: أمر أن لا يصوم أحد فرضا ولا سنة يوم الأحد ولا يوم الخميس ثم فسح الأمر، وبابا آخر: أمر أن تقرأ عقيدة الإشراف التي هي فرض على كل مكلف عندهم بعد قراءة الإنجيل في الصلاة واسمه الظناش، وهو بعد سيدنا عيسى عليه السلام بسنين كثيرة، والبابا مركى الرومي: أمر القضاة في الأحكام أن لا يقضوا على قسيس إنما يكون للقسيسين قاض منهم، وبابا آخر: زاد في الصلاة شيئين، وبابا آخر: أمر أن القسيس الإمام يعطي الصلح بين الناس وتقدم وصف ذلك قريبا، والبابا بجلى الرومي: أمر أن تسمى مريم أم الله يعنون أم عيسى، قال أحمد بن قاسم: فسميت بذلك إلى الآن عند النصارى والتابعين لهم، وكان ذلك بقرب نصف المائة الخامسة من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام.

قال أحمد اطفيش: اطلعت على كتب الإنجيل فإنجيل ينسب إلى متى، وإنجيل ينسب إلى لوقا، وإنجيل ينسب إلى يوحنا، وإنجيل ينسب إلى مرقش، وغير ذلك، فأين إنجيل الله ويظهر أن تلك الأناجيل يروونها وينسبونها إلى الله وعيسى، فما أناجيلهم إلا كتآليف الموحدين، وحاشى تآليف الموحدين أن تكون كذلك فضلا عن الأحاديث التي نرونها عن رسول الله محمد ﷺ، وإنما أردت أن إنجيلهم غير محفوظ لهم وزادوا ونقصوا، وظاهرها أنها حكاية عما جرى لعيسى وما يقول، كما روى الصحابة أحاديث رسول الله ﷺ لا نؤمن إلا بالإنجيل الذي أنزل الله، ورأيت في كثير من مواضع في تلك الأناجيل أن عيسى هو ابن الله، وأن الله هو أبوه في السماء وذلك بهتان، وإن صح فمعنى ذلك أن عيسى مقبول عند الله نبي، وإذا كان المراد هذا، فهذا الاسم لا يختص بعيسى، وقال بعض الحواريين لعيسى: أنت ابن الله حقا؟ فقال عيسى: أنت قلت؟.

وفي التوراة أن كل من كان صالحا يسمى ابن الله تعالى، وقد لعن الله عز وجل في القرآن وخطأ من قال: أن الله هو عيسى، ومن قال: ثالث ثلاثة، ومن قال: ابن الله، وقد مر قول القسيس أن كلمة كذا مخالفة لما عندنا اليوم فصريح أن إنجيلهم وكتب دينهم تزيد و تنقص.

قال أحمد بن قاسم: قالوا: لم منعكم نبيكم من الخمر، قلت: منعه الله تعالى لأنه يزيل العقل، وأفضل ما تكرم الله به تعالى علينا العقل وهو ممنوع عنكم ولم تنتبهوا له، قالوا: في أي موضع، قلت: في الدعاء الذي أمركم به عيسى أن تدعوا به، وأوله: أبونا الذي في السماء إلى أن تقولوا ولا تدعنا نقع عند فتنة النفس، وآخرون يترجمون ولا تدخلنا التحريب وهم الأكثر، والأول عندي هو الصحيح، قالوا: عندنا هذا؛ قلت: هل يجوز أن تأخذ الفتنة بيدك وتطلب أن لا يدعك تقع عندها.

وفي الإنجيل أن النبي زكرياء عليه السلام جاءه ملك من الله وقال: قد قبل الله دعاءك وامرأتك اليصابات تلد ابنا لك يدعى باسمه يوحنا، ويكون لك فرح عظيم وتهليل، وكثير يفرحون بمولده ويكون عظيما قدام الرب لا يشرب خمرا ولا مسكرا، قالوا: نعم هو هكذا في الإنجيل.

قال احمد بن قاسم: وجدت بنتا من أكابر الإفرنج من مدينة فنتنى لزيارة صنم بقرب المنزل الذي سافرنا إليه ووصلناه، وبعد الزيارة جاءت إلي امرأة القائد، وابنة كانت تحبني وترعاني وتحب تزوجي وتترين لي وهن نصرانيات، وبعد الطعام نادوني وأعطوني كرسيًا وجلست و زوجة القائد عن يميني والبنات قبالي ومع التي جاءت للزيارة بنتان تخدمانها، ولما جاءت نظرت إلي شزرا وأظهرت الغضب وقالت لي: تركي أنت؟ وكانوا يسمون كل مسلم تركيا، فقلت لها: مسلم والحمد لله، فقالت: كيف لا تعرفون الله، قلت: المسلمون يعرفون الله خيرا منكم، قالت: بم تثبت ذلك، فنظرت إليها ورأيت تحت إبطها كتابا كعادة بنات التجار و الأكابر من الإفرنج كل واحدة تحمل كتابا مثل تهليل، وفي كل واحد خمسة أدعية أو سور هن فرض على كل بالغ حفظها، قلت: البرهان في كتابك ووضعت على المائدة وقالت: هاهو، فقلت: لها انظري العشرة الأوامر الربانية ففتشت في الكتاب وقالت: هاهي، قلت: لها اقرئي الأمر الأول من العشرة، فقرأت وقالت: الأمر الأول: قال الله تعالى لا تعمل صورا ولا تعبدوها، أعبد الله وحده، فقلت لها: المسلمون لا يعملون صورا ولا يعبدونها، فقالت: ليس عبادتنا للأصنام لذاها إنما ذلك للمشبه به، قلت لها: الأمر الرباني بالنص: لا تعملوا صورا فهل تعملون أصناما، فقالت للنساء غلبنني وما وجدت ما أجيبه، فزال بغضها للمسلمين وانشرحت.

قال المؤلف احمد اطفيش: إن ذلك نص في النهي عن عبادة الأصنام سواء كانت بالذات أم للمشبه به تعالى الله، وقد نهي الله عز وجل في القرآن من يعبد الأصنام ويزعم أنها تقرب إلى الله تعالى.

قال أحمد بن قاسم: قال في التوراة التي في أيديهم الآن في الكتاب الثاني المسمى بالأشط في الباب العشرين منه: قال سيدنا موسى عليه السلام إن الله أمره أن ينزل من جبل الطور، وأن يقول عن الله تعالى لبني إسرائيل: أنا إلهكم أخرجتكم من مصر من ديار الأسر، لا تتخذوا إلها غيري ولا تعملوا صورا من صور السماء العلية، ولا من صور الأرض ولا من تحت الأرض، ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها، لأن إلهكم غيور، ولا تحلف حائثا، ومعنى لا تصوروا صورا من صور السماء الخ. لا تصوروا ملكا ولا حيوانا.

وجاءني قسيسان في دار قاض الأندلس وقيل لهما: أنا مسلم، فقالا: أنت مسلم؟ قلت: نعم، قال: أعتقدون أن في الجنة أكلا وشربا وتنعما مثل ما في الدنيا؟ قلت: نعم ولكن أفضل فضحكا، فقلت: لما ضحكتما؟ قالا من المحال أن يكون الثفل في الجنة؛ فقلت: لا ثفل في طعام الجنة وشرابها إلا الشجرة التي نهي الله أبانا آدم من الأكل منها وقد عاش فيها آدم يأكل ويشرب ولا ثفل له حتى أكل من تلك الشجرة، فكذلك يبقى فيها هو ومن يدخلها من السعداء ولو لم يأكل منها لم يثفل فيبقى فيها، فقالا: الجنة التي كان فيها آدم في الأرض؟ قلت: ما في الأرض متغير بالنور والظلمة ومقهور بالعناصر الأربعة، ولا تغيير في الجنة فبهت الذي كفر.

وقال لي مفت من النصارى: ما تقولون في عيسى؟ قلت: نبي رسول الله، قال: ما تقولون أنه ابن الله حقيقة؟ قلت: ما نقول! قال: فمن أبوه؟ قلت: فمن أبو آدم وأمه وأم حواء، فهل ترى قدرة الله صالحة لذلك وأكثر، قال نعم، قال للنصارى الحاضرين اشهدوا أنني نصراني أو من بكل ما في أيديهم دينهم في الدار التي في رومة، ومع ذلك

أقول أن هذا الكلام الذي قاله هذا المسلم فيه ما يسمع، وهو كلام عظيم، أو قال أكثر من ذلك، حتى قال له الحاضرون من النصارى لا يقبل ذلك فزاد عليهم هو بما بان له من الحق في التوراة، يدخل الله جن الجنة وهو اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه عده بحساب الجمل عدد أحمد.

وفي التوراة في الكتاب المسمى ذوترني في الباب الأربعين "أرعوا أرواحكم لا تزوروا أصناما. وقال أيضا "لا تقطعوا وتصنعوا لكم صورا ولا أصناما من شيء من الصور، صورة ذكر ولا أنثى، ولا صورة دواب الأرض ولا صورة طائر ولا صورة حيتان الماء، ولا تسجدوا لها ولا تعبدوا القمر ولا النجوم". وقال في الكتاب المسمى بلفتنق من كتب التوراة في الباب العاشر: "وكلم الله هارون و قال أنت وأولادك لا تشربوا خمرًا ولا مزرا يعني مسكرا، ليتبين الطاهر من النجس.

وفي كتاب القضاة من كتب التوراة في الباب الخامس: نبي نقيضه من بين إخوانهم مثلك، و أن أضع كلامي في فمه وهو يتكلم بكل ما نأمر، ومن لا يسمع من كلامي الذي يتكلم عني أنا نحاسبه، وذلك نبينا محمد ﷺ لأن أولاد اسماعيل إخوة لأولاد اسحاق، أعني أن العرب الذين خرج منهم سيدنا محمد ﷺ من ولد اسماعيل، وبني إسرائيل من ولد إسحاق.

وكان علماء الإنكليز يحذرون قومهم وهم أهل الجزر السبع من البابا وعباد الأصنام، ويحذرونهم من بعض المسلمين لأنهم سيف الله في أرضه على عباد الأصنام، وبسبب ذلك كان لهم ميل إلى المسلمين، ودخلنا مدينة ليذا وقلت فيها لنصاريني: هل كان البارقليط في الإنجيل، قال: نعم، قلت: ما معناه، قال: من لغة اليونان ومعناه: شفيح، قلت: هذا من أسماء نبينا محمد ﷺ.

وقلت لبعض النصارى: هل يجهل الإله قال: لا، قلت: في الإنجيل أن أربعة أو خمسة من تلاميذ سيدنا عيسى ﷺ أتوا إليه في جبل الزيتون بعد أن ذكر لهم أن هذا

العالم يفنى، فقالوا: أعلمنا على وجه السر متى يكون انقضاء العالم؟، فقال لهم: أما هذه المسألة فلا يعلمها أحد حتى ملائكة السماء، لا يعلمها إلا الله وحده، قلت: فقد جهل ما جهل فليس إلهًا والله أعلم وأحكم والحمد لله.

الباب الثاني من الرسالة: في أجداد بني ميزاب في هؤلاء القرى الخمس

اعلم أن أهلها كانوا في مواضع قريبة من حيث هي الآن وكان أهل كل قرية قليلا متزلزلين غير مطمئنين للجذب وقلة الماء وبعض الحروب، وأكثرهم انتقلا من موضع إلى موضع، حتى كانت عدة مواضع أهل قرية بني يسجن كانوا في جبل مشرف على أجتهم اليوم يسمى بكياو على يمين الذهاب إلى الأجنة الآن، وبالنظر إلى جهات الآفاق فهو إلى جهة الشمال المقابلة للجنوب، وكانوا في موضع يسمى ترشين على طرف الأجنة الآن، وعلى يسار الذهاب إليها وعلى فم شعبة تسمى موئم، وكانوا فوق جبل مشرف على نورة بينهما وادي العطف يسمى مرقى وهو تحريف المرقى وهو موضع الرقي تسمية له باسم طريقه أو تحريف مرقى اسم مفعول كمرمي لأنه وطن يرقى ويصعد إليه، وانتقض أهلهم بعضهم إلى نورة وبعضهم إلى قرية بني يسجن اليوم.

فصل في تسمية يسجن

ومبدأ هذه القرية بعد الانتقاض إليها من تلك المواضع شيئا فشيئا موضع أعلاها يسمى تفيلا لت بعد عمرانه شبهوه بتفيلالت الغرب التي اسمها قبل ذلك سجلماسة، وذلك كما عمرت تونس من أنقاض قرطاجنة، وهي قرية قديمة وهي أقدم من مدينة رومة بثلاثين سنة وقيل: بالأكثر، أسستها ديرون أخت ملك بلاد صور حين فرت من أبيها سنة ثمان مائة و تسعين قبل ميلاد عيسى ﷺ، أعني أنها قبله بتلك المدة وعمرتها وما حولها بقبائل من أهالي كنعان، نزلوا بها، وفي الأندلس أيضا قرية تسمى

قرطاجنة، ومعنى قرطاجنة خندق الجنة، وكما عمرت الجزائر من تمدفوشت أي منكسرة.

و بنو يسجن هم آخر الناس اطمئنا وسكونا وعمرانا لبلدهم الثابت لهم الآن، وأهل باقي القرى اطمأنوا في قراهم حيث هي اليوم قبلهم، وأما لفظ يسجن فإما أن يكون تعريب آسجن وهو بالبربرية النصف بالعربية، وكانوا يعدون لأنفسهم نصف أهل غرداية، وذلك النصف هم أولاد سليمان بن يحيى والنصف الآخر هم أولاد عمي عيسى، وعيسى هذا وسليمان ذلك، قيل: هما أخوان ولم يتحقق ذلك.

وإما تحريف أو تعريب يزقن فإن أهل كل قرية يجتمعون من قبائل ومواضع، ففي أعمال قسنطينة قوما يسمون أولاد موسى ومنهم أصل من يسمون في هذه القرية أولاد موسى، وفي بعض التقايد أن أولاد موسى من أولاد فاطمة، وهم بعد ذلك من ولد علي بن يزيد وهم أهل بلد بسكرة، وأولاد اسماعيل كذلك وهو اسماعيل بن عيسى يكتنون بالقاطنين، وأما قسنطينة بطاء واحدة ونون واحدة وياء واحدة فقرية سميت باسم رومي، وزيدت عليه التاء كما سميت باسمه بلا تاء قرية بالأندلس قسطين، قرية من بسطة التي هي قرية الحيسوف المعروف بالقلصادي، وعمرت يسجن أيضا من ورقلى.

فصل في تسمية غرداية

وأما غارداية فسميت باسم الغار، وهو كهف في الجبل، واسم امرأة نزلت به، وهو معروف إلى الآن، فسمي أعلى الجبل الذي بنيت عليه هذه القرية، وأيضا داية اسم الغراب، ويقال ابن داية، ولعل غرابا ينزل فيه فأضيف إليه، وكان أهلها في جبل بابو السعد، انتقلوا إليه خوفا من جائر نزل بهم، ولما أيس منهم ورجع رجعوا إلى موضع غرداية، وقالوا أول من نزل في واديهما الشيخ بابو عيسى العلواني، ويأتي إن شاء الله

كلام في نسبه، حتى إنه كان مكتوبا له جميع أراضي غرداية من بابو صالح إلى كذا ومن كذا إلى كذا.

فصل في تسمية مليكة

وأما مليكة فقرية على جبل، وكانوا أسفل عند المسجد الذي على الوادي فوق البنيان المعد لعمل الفخار، ثم انتقلوا إلى حيث هم اليوم، سميت باسم المرأة تسمى مليكة.

فصل في تسمية بنورة

وأما نورة فقريتان متصلتان عمرتا جميعا في زمان واحد على جبل منقطع وحده، كجبل غرداية أخلا أهل السفلى مع بعض العرب، بل بعض الشعانية وبعض أهل القرى، بل أهل يسجن القرية العليا، وتنسب لبني مظهر، ولهم ذكر في الغرب، فبعضهم انتقل إلى مليكة وبعض إلى الغرب، وحين كانوا بينون أولهما مر أعرابي في الوادي ونادى خاله عامر: أيا خالي عامر، وكان بلفظ ما يخلو و يعمر، وكان أمرها كذلك تخلو وتعمر، ولو كانت يا خالي في ندائه اسما مضافا إليه، وياء اسم فاعل خال بدلا من لام الكلمة، وسميت باسم امرأة تباع النورة وهي المغرة في عرف بعض، أو الجير، والأول يحتمل وجها آخر هو أن أهلها كالمغرة بالنسبة إلى اللك.

وفي بعض التقايد أن أولاد بني عنان هم بنو مظهر وجدهم منصور بن إبراهيم بن محمد بن عامر بن موسى بن عبد الله بن عنان بن بخت بن عباد بن ثابت بن منصور بن عامر بن موسى بن مسعود بن علي بن عبد المجيد بن عمر بن محمد بن داود بن علي بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، وإلى بخت بن عباد المذكور تنسب أولاد باخة في القرارة بتحريف بخت إلى باخة.

ومن أولاد بخت أولاد إبراهيم بن صالح في القرارة وأصلهم من شجرة الزيتون، فرقة منهم في حكم الصوامع في حضرة مجدد اسم جدهم بخت بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن عباد بن موسى بن سليمان بن عبد الله بن هلال بن عبد الله بن عفار بن عمر بن جابر بن أبي الرياح بن عبد الله بن أحمد بن الشارف بن يحيى بن أحمد بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وصالح المذكور ولد إبراهيم وابنه إبراهيم هذا ولد عيسى والناصر و أحمد وحمو وتفرع منهم مالا يحصيه إلا الله وهم الملقبون بأولاد بولحية، وفي هذا التقييد الآخر نشر بعض أجداد بخت طويت في التقييد الأول.

فصل في تسمية العطف

وأما أهل العطف فقرية سميت لانعطفها جانب الوادي لا يراها من يسير في الوادي إلى جهة القبلة من بعيد حتى يصل موضعا مخصوصا مائلا فيميل فيراها، وسميت باسم هو مصدر، ويقال لها في الأصل العطفاء كالحمرء ثم تنوسي هذا الاسم وهو وصف، إلا أنهم يقولون في النسب عطفائي وهو إلى عطفائة، وأما لفظ العطف فقياس النسب إليه عطفي، والنسب إلى غرداية داوي لأنه مركب تركيب إضافة علما، والتعريف فيه بالثاني فسقط الأول وأثبت الثاني وقلبت ياؤه واوا.

وأما قولهم الغرداوي فخلافا لقياس كقولهم في النسب إلى دار القطن الدارقطني، والنسب إلى مليكة ملكي بفتح اللام وإسقاط الياء بعدها وقبل الكاف، وأما قولهم امليكي أو مليكي فخلافا لقياس، والنسب إلى نورة ويقال بنورة، وأبو نورة نوري وقولهم بنوري خلافا لقياس.

وأهل العطف كانوا في قرية تسمى أغرم انتلضت ومعناه قرية الصوفة، وقرية أهل العطف هي بلد سليمان بن عبد الجبار المعتزلي.

فصل في اعتناق أهل ميزاب مذهب الإباضية

وليس أهل هؤلاء القرى إباضية من أول، بل كانوا معتزلة، يسافرون إلى تيهرت لقتال الإباضية، وكانت المعتزلة أقوى في هذا المغرب إلى تيهرت، ولما غلبتهم الإباضية صار أمرهم في إدبار، وكان الشيخ محمد بن بكر بعد انقراض إمامة الإباضية من تيهرت يأتيهم من القبلة ويردهم بالوعظ والتعليم إلى مذهب الإباضية، وقتلوا ابنا له فيما قيل، وليس بابنه الشيخ أحمد، وبعد انقراضها جاء [لهم] بعضهم فانضموا إلى من سكن هذه القرى من المعتزلة وجاء أيضا أولاد عبد الله من المغرب كما جاء منه بابه عيسى العلواني.

فصل في تزوج بعض العائلات إلى ميزاب

وجاء قوم من نفوسة وأكثرهم نزل يسجن وهم أولاد عمي عيسى وهم غير أولاد عمي عيسى الذين في غرداية، وبعضهم نزل غرداية وهم اللالوتيون، وبعضهم العطف، ومن جزيرة جربة عمي سعيد وتناسل في غرداية.

وكان أهل نفوسة برابر وسموا نفوسة لأنهم أسلموا بنفوسهم وأذعنوا للإسلام وسألوا عنه وتعلموه بلا داع قاهر إليه، وقيل: سمو باسم جدهم نفوس بفتح النون وكان مادغيس الأبتى جد البرابر البتر، وابنه رخيخ، تشعبت منه بطونهم وله أربعة أولاد: نفوس واداس وضرا و لوا، وتنسب نفوسة كلها إلى نفوس، وكانوا من أوسع قبائل البربر وفيهم شعوب كثيرة مثل: بني زمور ومكسور وماطوسة، ومواطنهم باتجاه طرابلس، وهناك الجبل المعروف بهم وهو على ثلاثة مراحل من قبلة طرابلس، ومن بلادهم صبرة، و كانت باكورة الفتح لأول الإسلام.

ومن ولد لوا نفزاوة ولواتة واندرجت بطون أداس في هواره إذ خلف زوجها هواره بعد أن كانت أم أداس عند غير هواره فيما قيل على أم أداس قبل فصاله أي من الرضاع، فنسب إليه.

وقليل من بني ميزاب جاءوا من جربة، وهي جزيرة فوق تونس قريبة إلى مالطة وكانت غير جزيرة وخافت رومة على نفسها ومن معها فاحتالت بالحفر من الجانب الذي لا بحر فيه ففاض الماء فصارت جزيرة أحاط بها الماء وفي الشام بلد يسمى جربا بالألف. ومن جربة أو نفوسة أولاد أبي مسور في العطف جاءوا أيضا من تيهرت، وجاء أيضا من ناحية فساطو من جبل نفوسة بابش بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن الشيخ اعمر بن عبد الله بن احنين بن سبع بن أبي القاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن البابشي، وسبب انضمامهم إلى موضع الجذب الخوف من الجورة.

وفي بعض التقايد أولاد أبي وكيل وأولاد أبي عنان هم بنو مطهر، وفي يسجن فرقة تسمى أولاد عنان، وفرقة تسمى أولاد خالد، لكن ليست الفرقة كلها بل القليل، وينسب إليهم من ينضم إليهم ويرسم أبو عنان بن الفضل بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن علج بن عبد السلام بن مشيش بن بكر بن رباح بن عيسى بن أبي القاسم بن مروان بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة الزهراء عليها السلام.

وفي بعض التقايد أولاد بني عنان هم بنو مطهر وجدهم منصور بن إبراهيم بن محمد بن عامر بن موسى بن عبد الله بن بخت بن عباد بن ثابت بن منصور بن عامر بن موسى بن مسعود بن علي بن عبد المجيد بن عمر بن محمد بن داوود بن علي بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ.

وفي غرداية أولاد عمي عيسى وأولاد يحيى بن سليمان من أولاد الحسن أو الحسين، وفيها أيضا بعض أولاد سرغين، وجد السراغنة سالم بن إبراهيم بن عبد الله الحلیم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ.

وفي بني يسجن قبيلتان تنسبان لجد واحد هو أبو عبد الرحمان الكرثي وهما أولاد خالد وأولاد يدر، وفي بعض التقايد أن بني خالد جدتهم علي بن عمران بن داوود بن خالد بن يحيى بن زكرياء بن منصور بن عبد المولى بن أبي عافية بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن سليمان بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، ولا ندري أولاد خالد في بني يسجن هم أولاد خالد المذكورين أم لا.

وفي أهل مليكة بعض أولاد نائل، وسمي نائل لكثرة أولاده وانتشارهم، وفرقة من أولاد نائل يقال لهم: أولاد رحمون وبنو جرفظ وجدتهم عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن الحسن بن موسى بن عمر بن عمران بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن رَحَّ بن محمد بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ.

وأولاد فاطمة هم أهل فاس، وفاس مدينة حادثة في الإسلام بناها الشريف إدريس الصغير بن إدريس الكبير بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وسميت فاسا لأنهم وجدوا في أرضها فأسا مدفونة، وذلك كما أن مدينة مراكش بناها أمير المؤمنين يوسف بن تاشفينت خوفا من فساد أهل جبل المصامدة وهو جبل مطل عليها.

وسبب موت إدريس الكبير أن هارون الرشيد أرسل إليه قارورة مسمومة مع من يأنس إليه، وبقي معه مدة حتى قام يوما وتركها في مجلسه مكرًا منه، فأخذها إدريس وشمها فطلع السم إلى خياشيمه فمات، وقيل أهداها إليه من بعثت معه بعد ما أنس به وأدناه من نفسه فشمها فمات.

وفي يسجن أولاد اسماعيل بن عيسى، وبعضهم من أولاد ميمون وأولاد اسماعيل من تفيلا لت وهي سلجماسة، وبالله التوفيق، وهم من أولاد الحسن بن علي، وكذا أولاد علوان، ولفظ علوان من العلو مأخوذة من اسم علي، وفي قرى بني ميزاب هؤلاء كلها أولاد عبد الله وأكثرهم في العطف وهم من العرب في الأصل.

فصل في الأنساب

لما خرج أولاد عبد الله من مليكة تفرقوا على أهل القرى الخمس، فكان في كل قرية منهم بعض، فأولاد بكلي من بني يسجن أخذوا بعضا، وأولاد وكتن أخذوا بعضا، وذلك في زمان أبي مهدي عيسى عليه السلام، وأول من نزل مليكة أولاد ويرو، وقيل أن عم سعيد وأخاه يحيى بن موسى وأخا آخر، ونزل يحيى بن موسى والآخر العطف، والله أعلم بصحة ذلك.

وأما يدر فجد للمؤلف أحمد اطفيش من أمه، وأبوها هو الحاج سعيد بن عدون بن يوسف بن قاسم بن اعمر بن موسى بن يدر والله أعلم.

وأما نسب الشيخ عامر الشماخي صاحب الإيضاح في الفقه على طريقتنا معشر الإباضية الوهبية أهل الدعوة فينتهي إلى شماخ بن عامر ثم إلى هود، وهو عليه السلام من أولاد عبد الوهاب بن اسماعيل يسمون الشماخين، وهم أولاد عبد الواحد بن اسماعيل بن عبد الواحد ابن صالح بن أبي عزيز بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن يوسف، وهو الشيخ أبو يعقوب الذي في آخر القرن الرابع من المستجابين

الدعاء، وانتقلت ذريته إلى تغرمين، فحين خلت تغرمين من نفوسة افتقرت بقيتهم في البلدان، وانتقل عبد الواحد المذكور إلى جربة، وبقيت ذريته إلى الآن كلهم عزابية و كثيرهم علماء، ولم يزلوا كذلك، وأبو يعقوب المذكور هو يوسف بن حودر بن عظر بن شام بن علوان بن ابواري بن مسيان بن شماخ بن عامر بن عسنت بن هوى ابن علوان بن عامر، وأخوه سليم بن عامر بن ختعم بن حليب بن طيء بن أوزع بن همدان بن حجار بن صفوان بن حدير بن كليب ابن صفوان بن حمير بن سبا، ومن ذرية سبا قبائل كثيرة: كندة وجيرون وذيان وغسان و أوس و خزرج، ومن أولاد سبا: طيء ولخم وجذام وصدحج وكلهم من سبا بن يعرب بن شعيب بن قحطان بن هود عليه السلام.

ويحتمل أن يكون الشماخي نسبا إلى شماخ جبلا في نفوسة، انتقل الشيخ عامر عليه السلام من قرية فيه إلى يفرن قريبا منها، ومنهم الشيخ عبد العزيز صاحب النيل: عبد العزيز بن الحاج بن ابراهيم بن عبد العزيز بن الحاج عبد الله الثميني بن عبد العزيز بن عبد الله بن بكر بن موسى بن محمد بن عبد العزيز بن يحيى بن موسى الحفصي قبيلة، الياجراني بلدة.

وقد سمعت أن أولاد الشيخ محمد وهو جدي الأعلى من ولد عمر بن الخطاب عليه السلام، ويناسب نسبته إلى موسى الحفصي إذ لعله نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطاب عليه السلام، وامتاز من أولاد الشيخ محمد أولاد بابه عيسى بن اسماعيل، وهم ثلاثة: الشيخ عبد الله بن عيسى، قرأ في مصر واشترى كتباً يذكر فيها أنها له، وأخوه الحاج عبد الرحمن وهو من أجدادي، وجد أولاد عمنا يحيى بن عمر والعزة بالله.

وأما أولاد عبد الله، فمنهم من ينتسب إلى أبي بكر الصديق عليه السلام، ومنهم من ينتسب إلى الحسن أو الحسين، ولا أعرف تحقيق ذلك، ومن جملة طوائف تسمى

أتمشت وهي ثلاثة أقسام أعني أتمشت: دار أولاد مسعود بن إبراهيم، ودار أولاد يوسف بن باكة، ودار أولاد موسى بن إبراهيم، مثل يحيى بن أحمد بن موسى بن نوح بن زكرياء بن يوسف بن باكة بن يوسف، ومثل موسى بن أبي القاسم بن عمر بن نوح بن زكرياء بن يوسف بن باكة بن يوسف، ومثل عبد السلام بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد السلام بن يوسف بن باكة بن يوسف وغيرهم ممن يتصل إلى يوسف المذكور، لكن أولاد مسعود أيضا يتصلون بيوسف المذكور، مثل صالح بن موسى بن سليمان بن عبد النبي بن يغمر بن محمد بن مسعود بن يوسف، ومثل عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد النبي بن يغمر بن مسعود بن يوسف، ومثل عبد العزيز بن يغمر بن صالح بن محمد بن مسعود بن يوسف، وكذلك أولاد موسى بن إبراهيم، مثل محمد بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن يوسف، ومثل محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن يوسف.

قلت: ولا تجوز التسمية بعبد النبي، فليبدل موضعه عبد الله، كما جاءت السنة بمثل ذلك، وأما عبد الله المنسوب إليه أولاد عبد الله فوجد بخط أبي مهدي عيسى بن إسماعيل، أنه ترك حريز بن عبد الله، وموسى بن عبد الله، وثابت بن عبد الله، وأجرين بن عبد الله، أما أجرين فانقطعت ذريته، وأما حريز فترك موسى، و موسى ترك يحيى، ويحيى ترك أحمد، وأحمد ترك بنته كامس، وخلف موسى أيوب وأزرجين، وخلف ثابت بن عبد الله و بغور ويونس، فانتشرت أولاد عبد الله من هؤلاء، ومنهم نوح بن أيوب قرأ العلم في غير ميزاب واشترى كتباً، يوجد اسمه فيها، أنه ملك لنوح بن أيوب المصعبي.

ونزل يحيى بن إسحاق المارقي على بني مصعب عام عشرين وأربع مائة، وارتحل يوم الجمعة فتبعه من بني مصعب ثمان رجال وهم: مسعود بن يعطو، وأبو داود بن

زكرياء بن أبي داده، وجلاب بن ناصر، وهم من بني مخراق، وسعيد بن أبي يعقوب، وأيوب بن منصور من بني إبراهيم، ويستغن بن يازل، وناصر بن إبراهيم، وداود بن يوسف من بني إزلتن، تبعوه وقتلوه بوادي الرقاع، وجد ذلك بخط عبد الرحمن بن موسى، وقال: وجدته بنسخة قديمة.

ووجد بخط الشيخ عمي دحمان بن الحاج رحمته أنه وقع الاتفاق على يده في أهل نورة مع أولاد عبد الله وأولاد أبي إسماعيل، ورجال من العبيد عبد الله بن أحمد وسليمان بن محمود وسليمان بن عامر وسالم بن حريز بن محمد، هذا نصف أولاد عبد الله، وسعد بن إبراهيم وعيسى بن بادي وسليمان بن داود وأبو نوح بن أحمد بن سعيد وعيسى بن أبي إسحاق بن عمر بن لقمان وأبو نوح بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف، ولقبه ببيضا، معناه أنه يطلق النساء التي يتزوجهن.

كان الاتفاق على أن النصف الجوفي لأولاد عبد الله، والقبلي لأولاد أبي إسماعيل والرجبة القبيلة لأولاد أبي إسماعيل والجوفية لأولاد باكة من قسمة أولاد عبد الله، واقتسموا جهة تنومه وتمزار قسمت لأولاد عبد الله.

وقسمت لأولاد أبي إسماعيل من فوق تنومة إلى أسفلها قسمة بقسمة، والأصول النازلة كلها لأولاد أبي إسماعيل ما خلا ما يكون من بني مصعب، وجد ذلك بخط عمي دحمان الشيخ رحمته بتاريخ عام 1121.

وأما أولاد مخرق ويقال المخارق بكاف معقدة على ما أشاهد من كلام العامة، وهم في العطف، فإنما سموا بذلك لأن هذا الرجل الذي نسبوا إليه ناداه رجل في باب داره فأجابته امرأته "يَزُول يَفْغ" بالبربرية بمعنى صلى فخرج، واسمه أحمد، وترك أولاد يزول بن أحمد وأحريز بن أحمد وعلي بن أحمد، وانتشرت ذريتهم.

وأما حي بن داود فيقال أنه كان على حال لا ترضى ثم تاب على يد أبي مهدي عيسى بن إسماعيل رحمته، وتفرعت منه فروع، وأذكر منها طرفا يشتمل على ذكر

عمنا بابه حي المشهور الذي كتب ما لم يكتبه ميزابي بقلمه من كتب العلماء وهو من أهل نورة.

فنقول: حمو بن بابه والجمة بن بابه حي بن عيسى بن بابه حي بن داود بن سليمان بن داود بن حي ومن ذريته عمنا بابه عيسى بن أيوب من أهل نورة، وهو أبو الحاج أيوب بن عيسى شيخ نورة الذي مات شابا، وكان لا يخالف ما أمره به من الأمور الشرعية، واجتمع مع بني مصعب في المسجد الشيخ أبي عبد الرحمن الكرثي رحمته في بعض الأمور الدينية، يأمرهم باتباعها على طبق مرادي، ومراد أخيه الحاج إبراهيم بن يوسف صانه الله، وعمنا الحاج اسعيد بن يوسف بن عدون، وفي شأن اجتماعه معهم قلت:

سلوا مسجد الكرثي يوم تجمعوا
على العالم النوري فيه وزعزعا
فبَدَّ بأن الله لا رب غيره
وليس لأمر الله في الخلق مدفع

إلى آخرها مشتملة على مسائل شرعية يخالفها الناس وأريد أن لا يخالفوها لأنها الحق وأما أولاد الخلف وأولاد جلمام وأولاد حرير فجدهم واحد، يقال خلف بن علي وجلمام بن علي وأحرير بن علي، وهم من أهل العطف، وأما الحجاج من أهل العطف فهم من قبيلة الحجاج بن يوسف، مثل الحجاج من القبائل المسماة بالأربع، ولعل انتسابهم إلى الحجاج بن يوسف لأنهم من قبيلته، فهم من بني أمية من قريرش، وليسوا من بني هاشم، ولا من بني المطلب، بالنظر إلى الآباء، وأما بالنظر إلى الأم فهم من الشرفاء من بني هاشم والمطلب، لأن أبان بن عثمان أمه رقية بنت رسول الله ﷺ وهم من ولد عثمان بن عفان الصحابي، لا من ولد الحجاج بن يوسف، أو يقال لهم ذلك لكثرة من اسمه الحاج فيهم، ومن أجدادهم الحاج إبراهيم بن عيسى بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن سعيد بن محمد بن محمد بن رباح بن سعيد بن علي بن يزيد بن مخلوف بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن داود بن

أبان بن عثمان بن عفان، وخلف أبان أربعة أولاد محمدا وسعيدا وعليا وداود فانتشرت الذرية منهم.

ومن الشرفاء على ما وجدت مكتوبا: الحاج صالح بن محمد بن الحاج إبراهيم بن الحاج أحمد بن الحاج داود، وأخوه الحاج إبراهيم وأهل بيته الوارقلي الأصل الداوي المسكن، وهو التاجر في المغرب الطالب للعلم، فإن من أجداده أمير المؤمنين يعقوب المغربي المجاهد الفاتح لبلاد كثيرة في الأندلس بعد أخذ الكفرة لها، وكذا في الشام، وهو نظير صلاح الدين يوسف في الاهتمام بأمر الإسلام في مصر والشام، ويوسف بن تاشفينت البربري في المغرب، وذلك المجاهد الذي يذكره بن الأثير وصاحب حياة الحيوان وكتب التواريخ هو يعقوب بن منصور بن مومن بن علي بن أحمد بن يوسف بن السلطان الأكل بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إدريس بن عبد الله الكامل أبي الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ ترك يعقوب المذكور بنتا وسبعة بنين محمدا وأحمد والحسن وميمون ويوسف وعبد الرحمن ويحيى، فمحمدا ذهب إلى تونس، وأحمد إلى السودان، والحسن إلى تلمسان، وأربعة بقوا في المغرب مع أبيهم، وغزا ثلاث عشرة غزوة ومات في الرابعة عشر غزاها في الشام، وقبره في الشام، ومات آخر شعبان من عام ثمانية وستين وست مائة، وعمره ست وسبعون سنة، وكان عنده نحو سبعين ألفا من الذين يقرءون القرآن، يقرئهم ويطعمهم لوجه الله عز وجل، ونحو ستين ألفا يقرءون الفقه والعلم، يتفق عليهم ويموتهم في سبيل الله.

ومن ذريته الحاج داود بن إبراهيم العزالي، يقال الحاج موسى بن الحاج داود بن الحاج عيسى بن الحاج داود بن إبراهيم العزالي بن يعقوب بن أمغار بن يعقوب بن إبراهيم

بن يوسف بن موسى بن يعقوب بن إبراهيم بن يعقوب بن محمد بن مولاي يعقوب
المجاهد المذكور الأمير.

ومن ذريته الحاج صالح بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى بن سليمان بن أحمد بن
إبراهيم بن الحاج داود بن إبراهيم بن يعقوب بن أمغار إلى آخر ما ذكر، ويقال
سليمان بن الحاج عيسى بن الحاج داود بن الحاج عيسى بن الحاج داود بن عيسى
إلى آخر ما ذكر.

ومن أجداد الحاج صالح بن إبراهيم المذكور أولاد الحاج نوح، ويقال: أحمد بن الحاج
داود بن الحاج احبيب بن الحاج داود بن صالح بن الحاج نوح بن إبراهيم العزائي إلى
آخر ما ذكر.

وبين الحاج صالح المذكور أولا وأحمد بن الحاج داود أيضا أجداد كثيرة، ويقال: أبو
سعيد بن صالح بن الحاج أحمد بن الحاج عبد الرحمن بن صالح بن يحيى بن صالح بن
الحاج نوح بن إبراهيم العزائي إلى آخر ما ذكر، ويقال: أيضا عبد الله بن الحاج نوح
بن يعقوب بن الحاج أحمد بن محمود بن صالح بن الحاج نوح بن إبراهيم العزائي بن
يعقوب بن أمغار بن يعقوب بن إبراهيم بن يوسف بن موسى بن يعقوب بن إبراهيم
بن يعقوب بن محمد بن مولاي بن يعقوب المجاهد المذكور الأمير المنصور، ومن أهل
بيت الحاج صالح المذكور الشيخ بن الحاج أحمد المعروف في ورقلى ويرد ميزابا.

قال محمد اطفيش المؤلف لهذه الرسالة: وقد رأيته وهو عم لوالد الحاج صالح المذكور
أولا، ومن أهل بيته الحاج محمد بن أحمد بن عبد العزيز، وعيسى بن الشيخ بن الحاج
أحمد، وأحمد بن بابيه بن الحاج إبراهيم، ومحمد بن داود بن الشيخ بن الحاج أحمد،
والشيخ بن محمد بن الشيخ، وصالح بن محمد بن الشيخ، وأحمد بن الحاج محمد،
وعمر بن الحاج محمد، وبكر بن عيسى بن الشيخ، والشيخ بن الحاج محمد، وأحمد
بن الحاج إبراهيم بن محمد، ومحمد بن محمد بن الشيخ، وغيرهم ممن هو معاصر لنا.

وأولاد نوح عمروا بریان، خرجوا من غرداية وبقي بعضهم فيها، وهم فيما قيل من
ولد باله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن الناصر بن عيسى.

وسمي البلد بریان لأنه بر ریان أي بر غير عطشان، أي بر كثير الماء، ويقال أصله بير
ریان، لأن فيه بيرا معروفة إلى الآن بأنها بير لرجل حفرها يسمى ریان.

ومن أجداد أولاد يونس حمو بن زكرياء بن داود بن عيسى بن محمد بن عيسى بن
بنزار البروني، ولا أراهم إلى عهدنا هذا جاوزوا عشرة آباء.

ومن أجداد بابيه السعد صاحب القرية على جبل مطل على غرداية وأجنتها أبغور،
يقال: باب بن ايوب بن موسى بن حمو بن يحيى بن موسى بن يحيى بن سعيد بن
سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابيه السعد بن الخلف بن معطي
بن أبغور.

ويقال: صالح بن سليمان وبغور بن سليمان بن عمر بن يحيى بن موسى بن يحيى بن
سعيد بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابيه السعد بن الخلف بن
معطي بن أبغور، ويقال: سليمان بن الحاج بن سعيد بن موسى بن الحاج بن عيسى
بن سعيد بن موسى بن يحيى بن سعيد بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن
صالح بن بابيه السعد بن الخلف بن معطي بن أبغور.

ويقال أيضا الحاج بن سعيد بن إبراهيم بن صالح بن يحيى بن موسى بن يحيى بن
سعيد بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابيه السعد بن الخلف بن
معطي بن أبغور.

ويقال: أيضا صالح بن كاس بن حمو بن عيسى بن بلقاسم بن سليمان بن بكه بن
سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابيه السعد بن الخلف بن معطي
بن أبغور.

ويقال: أيضا سعد بن بحم بن كاس بن عيسى بن بلقاسم بن سليمان بن بكه بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابه السعد بن الخلف بن معطي بن أبغور.

ويقال: حم بن بلقاسم بن محمد بن محمد بن محمد ثلاثا بن سليمان بن باكه بن سليمان بن سعد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابه السعد بن الخلف بن معطي بن أبغور.

ويقال: عيسى بن موسى بن صالح بن الحاج بن عيسى بن موسى بن يحيى بن سعيد بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابه السعد بن الخلف بن معطي بن أبغور.

ويقال: سليمان بن الحاج بن سعيد بن موسى بن الحاج بن عيسى بن سعيد بن موسى بن يحيى بن سعيد بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابه السعد بن الخلف بن معطي بن أبغور. ويقال: موسى بن إبراهيم بن الناصر بن موسى بن سليمان بن سليمان بن سعيد بن عمار بن نوح بن صالح بن بابه السعد بن الخلف بن معطي بن أبغور بن سليمان بن يحيى بن عمار بن أشعب بن أحمد بن بلقاسم بن أحمد بن أحمد بن سليمان بن الجيلاني بن الشيخ العربي بن خنداس ابن محمد بن عامر بن محمد بن عمرو بن بلقاسم بن عمار بن موسى بن سعيد بن عامر، وأما الثمينيون فمن ولد موسى الحفصي.

وأما أولاد يونس فمن نفوسة سكنوا غرداية، وأول من سكنها الشيخ بابه والجمة ومعه راعيه، ثم الشيخ بابه عيسى بن علوان، جاءوا من الغرب، ثم جد أولاد يونس من نفوسة، وتزوج بنت الشيخ بابه والجمة، وهؤلاء الأربعة هم أول من سكنها، ورأيا أعني بابه والجمة والشيخ بابه عيسى بن علوان نارا في غار ليلا فقصداه فوجدا فيه امرأة فسألاها فقالت وهي عجوز: ارتحل العرب عني.

وأما النشاشبة فلهم اتصال بأولاد يونس، وسموا بذلك لأنهم يقاتلون بالنشاب، ولا بارود على عهدهم، وهم جمع نشاب بفتح فتشديد نسبة كالبان والتمار.

وأما القبائل المعروفة بأولاد عمي عيسى فمنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن يحيى المكنى بأبي تجمي، ومن ذريته الشيخ أبو سحابة الذي على عهد المحشي أبو عبد الله محمد بن عمرو بن أبي ستة، يكتابه أبو سحابة سؤالا عن بعض مسائل الفقه من غرداية، بل عمي عيسى ولد بابه تجمي، فمن ذلك أنه يقال عمي حم بن عمي إبراهيم بن أبي سحابة بن الشيخ أبي القاسم بن نوح بن يحيى بن طلحة بن بكر بن عمي عيسى بن بابه والجمة.

ومن نسب آخر يتصل به أنه يقال: الحاج سعيد بن حم بن بكر بن مسعود بن بعمور بن مسعود بن الحاج محمد بن موسى بن مسعود بن إبراهيم بن سليمان بن عمي عيسى.

ويقال: سليمان بن كاسي بن إبراهيم بن اسماعيل بن أبي سحابة بن يوسف بن نوح بن يحيى بن طلحة بن بكر بن عمي عيسى وتفرعت من ذلك بطون يحصيها ديوان يختص بها.

الباب الثالث من الرسالة

في بيان بعض ما يعيبه المخالفون على الإباضية

والرسالة ما ألف من بعض الفن، أو من فنون على سبيل الاختصار على بعض أنواع الفن، مثل أن يؤلف كتاب في الاستعارات فقط من المعاني والبيان، أو في حروف الجر فقط من النحو، وهذا أولى من قول بعض أنها مسائل مختصرة من فن واحد. اعلم أن سبب بغض المالكية وغيرهم من الأشعرية لنا معشر الإباضية أوجه:

الأول: أننا نفينا أن يرى الله أحد في الدنيا والآخرة، لأن رؤيته توجب أن يكون متحيزاً في موضع دون آخر، وأن يكون حالاً في موضع، ومركب، وذا لون، وذا جهات، وذلك يوجب الحدوث والعجز والجهل، تعالى الله عن ذلك كله، وقد قال الله جل وعلا: "لا تدركه الابصار" فإن قيل: هذه القضية مسورة بالسور الكلي وهو الالاستغرافية والسلب سابق فتكون سالبة عموم فيبقى بعض يرويه.

قلت: بل عامة سلب ولو تقدم السلب على أداة العموم فهي كقوله تعالى: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" فهل ترى أنه يجب بعض الكفار كالنصارى على كفره، أو بعض الكفار المختوم عليهم بعدم الإسلام لا والله، فهي كلية لا كل، مع أن المتبادر أن أُل فيه للحقيقة لا للاستغراق، فلا يكون تقدم النفي سالبا للعموم مبقيا للبعض، والحامل على ذلك ما يلزم من النقص على رؤيته، ولذلك صرنا نؤول أدلتهم مثل: "إلى ربها ناظرة" نقول إلى رحمة ربها، ونظر الارتقاب قد يتعدى إلى كما يتعدى بها غيره، أو إلى بمعنى النعمة أي ناظرة نعمت ربها، وقد أطلت البحث على ذلك في التفسير والفقه وعلم الكلام.

الثاني: أنهم نسبوا إلينا قتل علي وتخطيطه عثمان، أما علي فقتله عبد الرحمن بن ملجم وهو من العرب، ولسنا نزيد على أن نقول قتل علي من المسلمين قوما صالحين ظلماً منه، يأتي ذكرهم إن شاء الله، مع أن هذا القوم المقتولين يقولون له: أنت إمام محق اذهب نقاتل معك بني أمية الجائرين عن العدل.

وأما عثمان فلسنا نقول فيه غير ما أقرت به المالكية وسائر الأشعرية، وما قالت به عائشة رضي الله عنها من ميله إلى بني أمية بمال الله، وإبطاله عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونحو ذلك مما أثبتته الصحابة والتابعون وشرائح صحيح مسلم والنويري وابن الأثير وغيرهم من الأشعرية، ويقولون فيه ما نقول، ومع ذلك فقد عد الأشعرية جابر بن زيد وهو منا من الثقات، وكلهم يروون عنه، ولا سيما الإمام البخاري، بل

الترمذي أشار إلى استيثاق أبي عبيدة أيضاً، وأكف القلم عن غير ذلك إذ يطول، وعن باقي الأوجه إذ المعظم هذان عندهم.

قال جابر: أدركت سبعين من الصحابة فحويت ما عندهم إلا البحر الزاخر فلم أقدر منه على شيء، وفي بعض كتب المشاركة: لقيت سبعين رجلاً من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلا البحر، وكل الملاحم الواقعة في عهد جابر بن زيد فإنما هي بأمره. قال ابن وصاف رحمته: إن أبا بلال مرداس بن جدير وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم في دينهم - جابر بن زيد العماني رحمته - ومشورته ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم وليكونوا ردءاً لهم أي عوناً وظهراً رحمته ورحمهم جميعاً، والله أعلم.

الباب الرابع من الرسالة

في مذهب الإباضية وديانتهم وفضائل البربر

إن مذهب الإباضية الوهية وديانتهم هما الحق لجريانهما على القرآن والسنة، و الأشعرية أنفسهم يقرون بأنه لا أحد أقرب إليهم في سائر الفرق منا، وقد عرض الناس مذاهبهم وديانتهم على العالم الكبير في عرفات، ولما عرض عليه الإباضية ما ذهبوا إليه ودانوا به، قال لهم: هذا هو دين الله الذي لا يدان لله إلا به، قال عبد الله بن قتيبة: والله أعلم بمن به تم الدين.

قال بعض السلف: و نرجوا أن يكون التمام بمن وصل أرض المغرب بتاهرت من أئمتنا، وقد بلغوا فيها درجة عظيمة وأقاموا في الإمامة أكثر من مائة وخمسين سنة فيما ذكر بعض الرواة، وقيل: مائة وثلاثين، ولما نزل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أَعَزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ" [المائدة 54] أشار رسول الله ﷺ إلى سلمان الفارسي وكان جالسا بين يديه فقال: ولعلمهم يكونون من رهط هذا، والإمام عبد الرحمن في تيهرت من الفرس من رهط سلمان، و روى أنه ضرب كتفه فقال: هذا وذووه، وعن رسول الله ﷺ: أن لله كنزا ليس من ذهب ولا من فضة ولكن في ظهور أبناء فارس.

و روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشى ذات يوم مع المغيرة بن شعبة وكان المغيرة أعور، وقال عمر: هل أبصرت بعينك هذه شيئا يا مغيرة، قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ثم عورت؟ فقال له مغيرة: ثم عورت؟ فقال له عمر: ليعورن الإسلام كما عورت، ثم ليعمى حتى لا يدرى من له ولا من عليه، فإذا أتى عليه مائة وستون ردّ الله عليه سمعه وبصره بوفد كوفد الملوك، طيبة أرواحهم صالحة أعمالهم، فسأله المغيرة: من أي ماء يا أمير المؤمنين؟ أمن ماء الحجاز، أو من ماء العراق، أو من ماء الشام، فولى عنه عمر رضي الله عنه وتركه، ثم إن الفرس وليت على رأس مائة وستين سنة في تاهرت وذكر بعض أصحابنا أن ولايتهم على رأس اثنين وستين سنة.

وروى زيد ابن أسلم أن النبي ﷺ رأى رؤيا فقصصها على الصحابة، فقال: رأيت غنما سوداء خالط غنم بيض، فأولتها أن العجم يدخلون الإسلام، وسيشركونكم في نسائكم وأموالكم فتعجبوا من ذلك، وقالوا: العجم يا رسول الله؟! فقال: أي والذي نفسي بيده لو أن الدين متعلق بالثريا لتناولته رجال من العجم وأسعدهم به فارس.

وعن رسول الله ﷺ: (لو أن العلم متعلق بالثريا لنالته الفرس). ودخل على عائشة رضي الله عنها رجل من البربر وهي جالسة ومعها نفر من المهاجرين والأنصار، فقامت عن وسادتها فطرحتها للبربري، فانسل القوم غضابا؛ فاستفتى البربري حاجته ثم خرج، فأرسلت إليهم فالتقطتهم من دورهم، فجاءوا كلهم فقالت عائشة رضي الله عنها:

أراكم قمتم عني غضابا ولم ذلكم؟! قال بعض: غضبنا عليك من أجل رجل جاءك من البربر كنا نزدريه وننقص قومه فأثرتنا علينا وعلى نفسك، قالت: آثرتنا عليكم وعلى نفسي بما قال فيهم رسول الله ﷺ؛ قالت: أتعرفون فلانا البربري؟ قالوا نعم، قالت عائشة رضي الله عنها: كنت أنا ورسول الله ﷺ جلوسا إذ دخل علينا ذلك البربري مصفر الوجه غائر العينين فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: ما دهاك؛ أمرضت؟ فارتقتني بالأمس ظاهر الدم صحيح اللون وجئتني الساعة كأنما نشرت من قبر، قال البربري يا رسول الله: بتّ بهمّ شديد، قال له رسول الله ﷺ: ما الذي همّك؟ قال: تردد بصرك علي بالأمس وخفت من ذلك أنه نزلت في آية من عند الله، قال له النبي ﷺ: إنما تردد بصري عليك بالأمس من أجل أن جبريل عليه السلام جاءني فقال لي يا محمد: أوصيك بتقوى الله وبالبربر؛ قلت لجبريل: و أي البربر؟ قال: قوم هذا؛ وأشار إليك، ونظرت إليك فقلت لجبريل: وما شأنهم؟ قال: قوم يحيون دين الله بعد إذ يموت، ويجددونه بعد أن يبلى، قال جبريل: دين الله خلق من خلقه نشأ بالحجاز وأصله بالمدينة خلقة ضعيفة ثم ينميه وينشئه حتى يعلو ويعظم ويثمر كما تثمر الشجرة ثم يقع دين الله بالمغرب، والشيء إذا وقع لم يرفع من وسطه ولا من أصله وإنما يرفع من عند رأسه.

وبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم عليه قوم من البربر من لوائه أرسلهم إليه عمرو بن العاص وهم محلّقوا الرؤوس واللحا فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: من البربر من لوائه، فقال عمر لجلسائه: هل منكم من يعرف هذا القبيل في شيء من قبائل العرب والعجم قالوا: لا علم لنا فيهم، فقال العباس بن مرداس السلمي: إن عندي فيهم علما يا أمير المؤمنين، هؤلاء من ولد بر بن قيس، وكان لقيس عدة أولاد أحدهم يسمى بر بن قيس وفي خلقه بعض الرعونة - يعني ضيقا - فقاتل إخوته ذات يوم فخرج إلى البراري فكثر به نسله وولده وكانت العرب تقول تبربروا أي كثروا.

قال المؤلف احمد اطفيش: وقيل: سموا بربرا لأنهم جاءوا من المشرق على ساحل البحر وقصدوا برا بعد بر على ساحل البحر من جهة طرابلس إلى ما وراء سبتة فنظر إليهم عمر رضي الله عنه وقد أرسل معهم عمرو بن العاص ترجمانا لهم فقال لهم عمر: ما لكم محلقي الرؤوس واللحا؟ فقالوا: شعر نبت على الكفر فأحببنا أن نبدل شعرا في الإسلام، فقال لهم عمر: هل لكم مدائن تسكنونها؟ قالوا: لا، قال لهم: هل لكم حصون تتحصنون بها؟ قالوا: لا، قال: فهل لكم أسواق يتبايعون فيها؟ قالوا: لا، فبكى عمر رضي الله عنه، قال جلساؤه: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: أبكاني حديث سمعته من رسول الله ﷺ يوم حنين، انهزم المسلمون ونظر إليَّ رسول الله ﷺ أبكي فقال ما يبكيك يا عمر؟ فقلت يا رسول الله أبكاني قلة هذه العصابة من المسلمين واجتماع أمم الكفر عليها، فقال رسول الله ﷺ: لا تبك يا عمر فإن الله سيفتح للإسلام بابا من المغرب، قوم يعز الله بهم الإسلام، ويذل بهم الكفر أهل خشية وبصائر يموتون على ما أبصروا، وليس لهم مدائن يسكنونها، ولا حصون يتحصنون فيها ولا أسواق يتبايعون فيها، ولذلك بكيت الساعة حيث ذكرت حديث رسول الله ﷺ وما ذكر لي من الفضل عليهم، فردهم عمر إلى عمرو بن العاص وأمره أن يجعلهم في مقدمة العسكر وأحسن إليهم رضي الله عنه وأكرمهم، وأمر عمرو أن يكرمهم، وكانوا مع عمرو بن العاص حتى قتل عثمان، ولما كان هذا في عصابة من أهل المغرب، عن عمر عن رسول الله ﷺ رجونا أن يكونوا أهل دعوتنا.

وعن رجل من ذرية أبي بكر قال: قال علي بن أبي طالب: يا أهل مكة ويا أهل المدينة أوصيكم بالله وبالبربر خيرا، فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد إذ تضعونه، هم الذين ذكرهم الله في كتابه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" وهم الذين لا ينظرون في حسب أحد خلاف طاعة الله.

قال البكري: فمن حيث وقعت الفتنة إنما تقاتل العرب على الدينار والدرهم، وأما البربر فإنما يقاتلون على دين الله ليعيموه، قال: وهو يرفع الحديث إلى ابن مسعود أنه قال في آخر حجة حجها: يا أهل مكة ويا أهل المدينة أوصيكم بتقوى الله وبالبربر، فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب وهم الذين استبدل الله بكم إذ قال: "وَأِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ [سورة محمد 38]" والذي نفس ابن مسعود بيده لو أدركتهم لكنت لهم أطوع من إمائهم وأقرب إليهم من دثارهم.

وروي أن عائشة رضي الله عنها أبصرت صبيا له ذؤابتان ذا جمال وهيئة فقالت: من أي قبيل هذا من السبي، قالوا: من البربر، قالت عائشة رضي الله عنها: البربر يقرون الضيف، ويضربون بالسيوف، ويلجمون الملوك لجام الخيل، والله أعلم، ولنا والحمد لله أضعاف ذلك ولكن أقصر على ما ذكر.

فصل في نسبة الإباضية إلى عبد الله بن إياض

الإباضية نسبة إلى عبد الله بن إياض المرّي التميمي بكسر همزة إياض على ما في القاموس، وهو من أهل نجد، لكنه انتقل، وهو صحابي في بعض الروايات، لكن لم تطل صحبته وهو على آخرها، وهو من بني تميم، وذلك هو محلهم أعني نجد فانتقل هو وأبوه فصاعدا، وإنما يقال له: المرّي نسبة إلى المرّة بفتح الميم وكسر الراء وياء مشددة ولكن نسب بلا قياس، والقياس المروي وذلك أنه نزل بلدة تسمى مرّة بذلك الضبط، وهي بين واسط والبصرة، ويسكن البصرة أيضا، وقال أبو العباس في الكامل: أنه منسوب إلى بني مرّة بن عبيد، فيقال: عبد الله بن إياض المرّي على القياس، وعليه تشدد الراء.

إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولى التفريق، سلك بأصحابه محجة العدل، وفارق سبيل الضلالة والجهل، وكان ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من عامل يزيد الملقب بمسرف، وكثيرا ما يبدي نصائح لعبد الملك بن مروان، وكان يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد، وله مناظرات مع الخوارج، وكان النسب إليه لانتهاضه في ذلك واشتداده به وإعلانه، واختير النسب إليه مع أنه ليس بأول في ذلك لجمعه ذلك الاعتناء الشديد مع صدوره عن رأي جابر وطول وعظه لعبد الملك بن مروان، وله إليه رسالة طويلة يعرفها التلاميذ مشهورة بينهم، وهي في الجواهر، وإلا فقد تقدمه غيره، وتأخر عنه غيره أيضا، ولكن وجه التسمية لا يوجب التسمية والنكث لا تتزاحم، بل لما قتل أبو بلال عزموا في جامع البصرة على الخروج وفيهم عبد الله بن إباح ونافع بن الأزرق وهو إباحي صفري، ووجوه المسلمين، ولما جن الليل سمع عبد الله بن إباح دويّ القراء وترنين المؤذنين وحنين المسبحين، فقال لأصحابه: عن هؤلاء أخرج معكم؟! فرجع وكنم أمره واختفى، فإن صح هذا فقد خرج بعد، ولما ظهر صواب ديانتنا صارت فرق تتعاطاها، حتى الازارقة والصفرية. وأخطأوا إذ غلوا في دين الله وظنوا أن عبد الله بن إباح يقول بما هم عليه، فقالوا به، وليس كذلك، حتى أن عكرمة مولى ابن عباس، وصل تونس يدعو إلى الصفرية، وظهر لي أنه تحصلت من ذلك فرق تسمى كل فرقة إباحية في زمان عبد الله بن إباح وبعده بقليل، زيادة على فرق الإباحية المشهورة.

ومن انتحل اسم الإباحية طائفة يقال لها المعرية، لم تجمعنا وإياهم الكلمة من أول، يزعمون أنهم إباحية ويسندون كثيرا مذهبهم إلى عبد الله بن مسعود، وهم تبعة عيسى بن عمير، وگمتاز بأنا نحن إباحية وهبية أهل الدعوة، والوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب، لا إلى عبد الوهاب، لأن هاء الوهاب مشددة وبعدها ألف، وليس ذلك في لفظ الوهبيّة، اللهم إلا أن يقال من ترخيم النسب شذوذا.

ودخل في الإباحية من ذكر، وخرج الصفرية ونحوهم ممن توهم بقولنا الوهبيّة، ودخلت في الوهبيّة النكار لأنهم يقولون به ويصوبونه، كما يصوبون أبا عبيدة وجابر بن زيد، وخرجت بقولنا أهل الدعوة، أو أهل النحلة، أو أهل الاستقامة، أو نحو ذلك، وبقينا نحن والحمد لله،

وإن قلنا: الوهابية أو الوهبيّة بإسكان هذه الهاء وادعينا أنه نسب إلى عبد الوهاب نسب ترخيم شذوذا، خرجت به النكار ونحوهم، لأنهم لا يقولون بإمامة الإمام عبد الوهاب.

فأما فرقة الإباحية المحقة فأهل هؤلاء القرى الخمس، وقرارة، و برريان، ونفوسة، و جربة، وعمان، إلا من رجع مالكيّا أو شافعيّا أو غيرهما، وفي ورقلى بعض أصحابنا ويأتي عدد ما كان قبل هذا الزمان فيها إن شاء الله.

فصل فرقة النكار

من فرق الإباحية الضالة النكار، وهم الآن لهم قرية واحدة في أعمال طرابلس الغرب، في طرف نفوسة، تسمى زوّارة، وبعضهم في جربة، يسمون مستاوة، يلبسون فيها شواشي بيضا، ولما رأوا الناس يسموهم نُكَّارًا سموا أنفسهم المحبوبين، وإنما يقال لفظ النُّكَّار محبين بكسر الحاء، سموا نُكَّارًا لأنهم أنكروا إمامة الإمام الحق المصيب عبد الوهاب في تيهرت.

وسموا نجوية لأنهم أكثروا النجوى في إبطال إمامته والمكر به عليه السلام، وسموا الشغبية لأنهم أدخلوا الشغب في الإسلام، ونُكَّاثًا لأنهم نكثوا بيعته بعد أن بايعوه بلا حدث منه، حتى أنهم دسُّوا إليه من يقتله في صندوق على صورة أنهم يتنازعون عليه، فخرج ليلا ليقتله، فقتله الإمام عبد الوهاب، وبسط هذا مشهور عند العامة والمبتدئين يدرسون من كتب السيرة

فصل: فرقة الخلفية

ومن فرق الإباضية الضالة الخلفية، تُبَاع خلف بن السمح، استخلفه بعض أهل نفوسة بلا أمر من الإمام عبد الوهاب بعد موت أبيه السمح رحمته، وأبى من استخلافه أهل الصلاح من أهل نفوسة، وخطأ الإمام عبد الوهاب من استخلفه وكتب إليه كتابا يأمره باعتزال أمر المسلمين، يعطاه أولاً، فإن أبى ترك في غيّه ويخرج من أمرهم، و إن أذعن أعطوه كتابا آخر قد أرسله إليه يتضمن إبقاءه في التولية، فأبى وتجبر واستجمع جموعاً فلم يعطوه الثاني، وكان له أتباع على ضلاله، وعدُّوا عليه بعض البدع، ولا نطيل بذلك لشهرته.

فصل: فرقة النفاثة

ومن الفرق الضالة من الإباضية فرقة تسمى النفاثة نسبة إلى نفاث بن نصر، أرسل الإمام عبد الوهاب كتابا يأمر فيه باستخلاف سعد ففكّه نفاث وأضر الغش إذ لم يستخلفه، ونسبت إليه بدع، وأتبعه رجل ليلاً ليكون على مذهبه فسمعه يقول لنفسه ضللت وأضللت يا نفاث، فرجع وقال: كيف أتبع رجلاً يقر على نفسه بالضلال والإضلال وله أتباع ضالُّون وأمرهم مشهور.

فصل: فرقة الفرثية

من الفرق الضالة من الإباضية الفرثية، نسبة إلى سليمان بن يعقوب، وكان يحرم الفرث، ويقطع عذر من خالفه في ذلك، فتباهل هو وأبو صالح جثنون في ورقلى، كل يدعو على الآخر، أي من كان منهما محقاً استجيب له في الآخر، فاستجاب الله دعاء أبي صالح جثنون رحمته فلم ير لسليمان أثر وانقطعت أتباعه.

فصل: فرقة السكاكية

ومن فرق الإباضية السكاكية: وهي ضالة نسبت إلى السكاك، ويكنى أجد الله، روي عنه أنه أوجب العمل بالقرآن وحده وأبطل السنة، ونسب إليه أنه يرى صلاة الجماعة بدعة، ويرى الأذان بدعة، وحرم الصلاة بثوب فيه القمل، وذلك كله يوجب أن قائله يشرك، وانقطعت قريباً. وفي زمان طاهر بن يوسف كان أهل يفرن غير وهبية إما خلفية أو حسنية أو مستاوة من فرق الإباضية كذا في السير ويأتي كلام في الباب الثاني عشر إن شاء الله والحمد لله.

الباب الخامس من الرسالة في تسمية بني ميزاب

جرى تسمية أهل هذه القرى الخمس بل السبع بني مُزَاب بضم الميم وتخصيصهم بهذا الاسم، ثم ظهر لي أن ذلك تحريف وأن الصواب بني ميزاب بميم مكسورة بعدها ياء مبدلة من واو.

و معنى بني ميزاب أصحاب الميزاب فهو اسم تأهل له كل إباضي وهي من أهل الدعوة ولو من عمان وذلك أنهم كلهم يقفون في الطواف تجاه ميزاب الكعبة للدعاء ولا يقف في ذلك سواهم من أهل المذاهب، أو لأن أبا بلال مرداس بن جدير دخل الحجر الحطيم في ليلة مقمرة صاحبة يدعو أن يظهر الله دينه فقطرت عليه قطرة من الميزاب علامة لإجابة الدعاء ولا سحاب وذلك أنه كان تحت الميزاب يدعو الله راغباً لهفاناً جاهراً أن يظهر الله ديانتنا فسمعه أهل الطواف فأثمنوا على دعائه، ووجه الأول أن الدعاء في تجاه الميزاب أعظم شهرة لكثرة فاعليه و لكثرة تكرره، بخلاف ذلك الدعاء في الحطيم على ذلك الوجه المخصوص من الرجل المخصوص فإنه ما كان إلا مرة واحدة من رجل واحد كما رأيت، ووجه الثاني أنه ولو كان مرة واحدة من رجل

واحد لكن لما كان هو السبب في انتشار هذا المذهب كان أهله أولى بالنسبة إلى الميزاب باعتبار الاستجابة تحته استجيب له، وانتشرت في المغرب من تيهرت إلى الإسكندرية إلا تونس وفي نفوسة و جربة وهما داخلتان في الحد وانتشرت في عمان وحضرموت ودخلت الحجاز وخرسان، وقد ملك منا الإمام أبو حمزة الشاري على مكة والمدينة، وحضر مالك ابن أنس خطبته وحفظها وهو في زمانه وعمر مالك حينئذ خمسة وثلاثون عاما، ولكن لم تطل إمامته.

وأما لفظ ميزاب فهو اسم آلة أي آلة وزوب الماء أي انحداره وانصبابه كالميزان بمعنى آلة الوزن، وأصله موزاب بكسر الميم وإسكان الواو قلبت ياء لسكونها بعد كسرة وذلك لأنه مأخوذ من وزب الماء يزب كوعد يعد أي سال و انحدر، و قد ذكرت وجها آخر للفظ الميزاب في حاشية الإيضاح.

ثم إن أهل هذه القرى الخمس فقط يسمون بني مصعب لأن بعضهم من ولد مصعب ولعله مصعب بن سدمان، ويسمون أهل أغلان كأنه من وغلانه قرية من أعمال تونس، ولعل بعضا جاء منها، وللتسميات أسباب وتفاسير، كما أن معنى استنبول مدينة الملك، وكما أن معنى قيصر وهو ملك الروم أوغسطس أنه شق عنه بطن أمه وأخرج من بطنها، وسمي به كل ملك من ملوك الروم بعده، وكان يفخر على الملوك بأنه لم يخرج من الفرج، وأول من دخل في دين النصارى من الروم قسطنطين المعروف بأمه هيلانا، وكانوا قبل ذلك على دين الصابئين والله أعلم.

الباب السادس من الرسالة

التوافق في الديانة هو سبب ارتباط أهل تيهرت في زمان الإمامة وأهل هذه القرى الخمس ونحوهن

بأهل عمان وزنجبار

اعلم أن سبب ارتباط أهل تيهرت في زمان الإمامة وأهل هذه القرى الخمس ونحوهن بأهل عمان وزنجبار التوافق في الديانة، وذلك أنه حملت عن أبي عبيدة العلم خمسة إلى المشرق وخمسة إلى المغرب وهو بالبصرة، فأما حملته إلى المشرق فهم: محمد بن محبوب، وبشر بن المنذر، وموسى بن أبي جابر، ومنير بن النير، وهاشم بن غليان. وأما حملته إلى المغرب: فأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح، وعبد الرحمان بن رستم الفارسي، وعاصم السدراقي، وأبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي.

وأما ابن مغطير فسبقهم إلى أبي عبيدة وتعلم قبلهم وجاء قبلهم، وليس زنجبار من عمان بل خارج عنها بعيد لكن أخذه أهل عمان من غيرهم.

فصل في إمامة أبي الخطاب المعافري

أما أبو الخطاب فهو من قبيلة تسمى معافر وهي من حمير في اليمن، وتولى الإمامة على رأس أربعين ومائة سنة في طرابلس الغرب بعد ما جاء من المشرق بأمر أبي عبيدة بقتله إن لم يقبل الإمارة، ووجه ذلك أن امتناعه تعطيل للإسلام، والحد على ذلك قتله، وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لصهيل قم على رؤوس الستة أهل الشورى فإن اتفق خمسة على سباده فأبى فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة و أبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فإن لم يرضوا بحكمه فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمان ابن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس.

ثم أن أبا الخطاب كان إماما وفي طرابلس حينئذ عامل لأبي جعفر المنصور وأخرجه من الإمارة وخيره بين أن يقيم في المدينة أو يخرج، واختار الخروج إلى المشرق وجعل أبا الخطاب يفتتح القرى من الجورة ويعدل، ومر على قابس وحصرها وأذعنوا ولما

وصل القيروان حصرها ومعه عاصم السدراتي ومرض واشتهى قثاء فسّمّوه - أعني أهل القيروان - وأمروا من يخرج ويبيع القثاء ولا يبيع المسمومة إلا لعاصم، ففعل فأكل منها عاصم ومات، وجاهدتهم أبو الخطاب فلم يفتحهم، فتصور بصورة المنهزم وذهب هو والعسكر وتركوا الخيام إلى موضع منعطف فخرجوا من البلد إليهم تابعين لهم فولوا إليهم يقتلونهم حتى دخلوا المدينة معهم فكان الفتح.

وأرسل أبو جعفر المنصور عسكرا عظيما من المشرق وجعل عليه ابن الأشعث، ولما وصف أبو الخطاب له هابه لتقواه ورغبته في الجهاد، ولكن مكر مكرًا وأظهر الرجوع للمشرق وتوجه إلى جهته فأثت أبا الخطاب أخبار رجوعه فتفرق عنه الناس إلا قليلا وقد حذرهم من مكر العرب، وهو أيضا رحمته من العرب، فطوى ابن الأشعث المراحل مسرعا إلى أبي الخطاب ففاجأه فكانت حرب عبوس مات فيها أبو الخطاب شهيدا في تفصيل طويل مشهور فتفرقت الإباضية.

فصل استشهاده أبي الخطاب

وهروب عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب

ومن ذلك هرب عبد الرحمان بن رستم ابن برهام بن كسرى ملك الفرس وهو أصله من عراق العرب، وكان لأبيه رستم علم أن ذريته ستلي أرض المغرب، فأقبل رستم وابنه عبد الرحمان وزوجته إلى المغرب لذلك، ومات في مكة أو قريب منها، وتزوجت زوجته رجلا من أهل القيروان بمكة فجاء بها القيرواني مع ابنها عبد الرحمان إلى القيروان، وفيها نشأ عبد الرحمن وبلغ مبلغ الرجال وقرأ وأفصح وقال له رجل: إن كنت طالبا ما أراك تطلبه فاقصد أبا عبيدة تجد ما رجوت، فاجتمع عند أبي عبيدة حملة العلم على حد ما مرت الإشارة إليه ورجع مع أبي الخطاب، فكانت إمامة أبي الخطاب وقتاله واستشهاده وعبد الرحمن معه ناصح مجتهد، فهرب من القيروان إذ لم

يكن له سبيل في الإقامة، وتبعه ومن معه ابن الأشعث وحصره في جبل منيع يسمى سوفاجج وهو بالعجمية ومعناه لا يدخله إلا دارع أو مدجج، فأيس منه ابن الأشعث مع وقوع المرض في عسكره فارتحل، وخرج عبد الرحمن إلى تيهرت في قصص مشهورة بين الناس، وكسرى بكسر الكاف وتفتح أيضا معرب خسرو ومعناه واسع الملك.

فصل في إمامة أبي حاتم

وفي خلال هروبه وتفرق الإباضية كان أبو حاتم يعقوب يحتال فتراجعت إليه جموع منها دخل بها طرابلس وملكها وما حولها، وجاءت عساكر من إفريقية فهزمها والحمد لله، وطوالع من المشرق فهزمهم على ثمانية أيام من طرابلس، ثم اجتمعت عليه جنود من إفريقية والمشرق وأعمال طرابلس وكان القتال شديدا ومات فيه شهيدا.

فصل في نسب البربر

وإفريقية هي تونس وما يليها، سميت باسم صاحبها بل نسبت إليه وهو إفريقس بن أبرهة الرائي، وقيل: إفريقس بن صيفي بن سبا بن يشحب ابن يعرب بن قحطان، لا كما قيل: إفريقس بن إبراهيم إلا إن أريد إبراهيم أبرهة، وقيل: إفريقس بن أبرهة ذي المنار بن الاسكندر ذي القرنين وهذا هو الذي نقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم، وكان البربر أهل بعثة يوشع عليه السلام ونسبت الولاية كلها إلى هذه المدينة، قيل حدها من طرابلس الغرب من جهة برقة إلى اسكندرية إلى بجاية، وقيل: إلى مليانة وقيل: من برقة إلى طنجة ومن البحر إلى الرمال من جهة السودان من القبلة.

ويقال: أن إفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزى للمغرب وإفريقية ورأى اختلاف أصوات هذا الجليل وتنوع لغاتهم قال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة في لغة اختلاط الأصوات غير المفهومة، وقيل: البربر من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه، وقال آخرون: البربر يمانيون، وقالوا أيضا: أوزاع من اليمن، وقال المسعودي: من غسان وغيرهم تفرقوا عند مالك من سيل العرم، وقيل: تخلفهم أبرهة ذو المنار بالمغرب إذ سار إليه بالجنود، وقيل: من لحم وجذام كانوا بفلسطين فأخرجهم بعض ملوك فارس ولما وصلوا مصر منعهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد، وقال أبو عمرو بن عبد البر: ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حميد بن سبا.

وفي كتاب الأسعيراذ الحكيم: ابن النعمان بن حمير ابن سبا ملك زمانه في الفترة أسند أبناؤه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره فراجعوه ثم كان قوله ماضيا وبعث معهم لمت أبا المتونة ومسفوا أبا مسوفة ومرطا أبا هكورة واصنك أبا صنهاجة وملك أبا لمطة وإيلان أبا هيلانة، ونزل بعضهم بجبل درنة وبعض السوس وبعض بزرعة، ونزل لمط عند كزول وتزوج بنته، ونزل جانا وهو أبو زنانة بواد شلف، ونزل بنوا ورمحين و مغراوة بأطراف إفريقية من جهة المغرب، ونزل مقرونك قريبا من طنجة، وأنكر ذلك ابن عبد البر وأبو محمد بن حزم.

وقال آخرون: البربر كلهم من قوم جالوت، وفي كتاب الأنساب لعلي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة في كتاب الأنساب له: لا أعلم قولا يؤدي إلى الصحة إلا قول من قال أنهم من ولد جالوت وهم قبائل كثيرة هي: هواره وزناتة وضربة ومغيلة وزبجوحة ونفزة وكسامة ولواتة وغمارة ومعمودة وصدينة ويزدران ودحين وصنهاجة ومجكة وواركلان وبه سميت ورقلة هذه، وغيرهم.

و ذكر الطبري وغيره أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق، لما قتل جالوت تفرقوا في البلاد وغزى إفريقية المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم وسماهم بربرا.

وقيل: البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام، وقال المولى: هم من ولد بربر بن سلاجيم بن مسرايم بن حام، وقيل: من العمالقة من بربر بن تمل ابن مارب بن قاران بن عمر بن عملاق بن لاود بن ارم بن سام.

وقال مالك بن المرحل: البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقریش تلاقوا بالشام ولغطوا وأسماهم إفريقش البربر لكثرة كلامهم.

وسبب خروجهم للمغرب عند المسعودي والبكري والسهيلي: إفريقس استجاشهم لفتح إفريقية وسماهم البربر، وقيل: أخرجهم داوود بالوحي، يا داوود: اخرج البربر من الشام فإنهم كالجدرى للوجه، وقيل: أخرجهم يوشع بن نون، ويقال: لما هربوا من الشام عند قتل جالوت وراموا نزول مصر ولم يتركهم القبط، نزلوا برقة إفريقية، والمغرب على حرب الإفرنج والأفارقة وأجازوهم على صقالية وسردانية وميورقة والأندلس، واصطلحوا أن المدن للإفرنج، وسكنوا الفقار وعصورا في الخيام وانتجاع الأمصار من الإسكندرية إلى البحر وإلى طنجة والسوس حتى جاء الإسلام، وكان منهم من تهوّد ومن تنصّر ومن تمجّس وعبد الشمس والقمر، ومن عبد الأصنام.

وقال البكري: إن الشيطان نزع بين بني سام وبني حام فأنجلى بنوا حام إلى المغرب ونسلوا به، وقال أيضا: لما اسود من دعوة أبيه فر إلى المغرب حياء واتبعه بنوه، وهلك عن أربع مائة سنة، وكان من ولده بربر بن كسلاجيم فنسل بنوه بالمغرب، وانضاف إلى البربر حيان من المغرب يمنيان عند خروجهم من مارب كتامة وصنهاجة وهواره ولمطة ولواتة، بنو حمير بن سبا، وقيل: فرقتان البرانس والبترا، من ولد بر بن قيس بن غيلان، والبرانس بنوا بربر بن ابزج بن حمواح بن وائل بن شراط بن ناج بن دويم بن داح بن مازيغ بن كنعان بن حام، وهذا يعتمد نسابة البربر.

وقال الطبري: خرج بربر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر، وهي جارية، وتزوجها فولدت، وعند غيره من نسابة البربر أنه خرج فارًا من أخيه عمر بن قيس قالت تحاضر أخته شعرا.

لتبك كل باكية أخوها كما أبكي على بر بن قيس
تحمد عن عشيرته فأضحى ودون لقاءه أنضاء عيسى

وقالت:

وشطت من ببر داره عن بلادنا وطوح بر عيسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنه أعجمية وما كان بر في الحجاز بأعجما
كانا وبر لم نقف بجيادنا بنجد ونقسم نهابا ومغنما

وكانت قبائل البربر يسكنون الشام ويجاورون العرب في المساكن، ويشاركونهم في المياه والمراعي، ويصهرون إليهم، وتزوج بر بن قيس بنت عمّه البهاء بنت دهمان، وحسده إخوته في ذلك.

وكانت أمه تمرغ من دهاة النساء، فخشيت منهم عليه وبعثت بذلك إلى أخوالها سرا ورحلت معهم بولدها إلى أرض البربر وهي فلسطين وأكناف الشام، فولدت البهاء لبر ولدين: علوان و مادغيس، مات علوان صغيرا، وولد مادغيس فكان من ولده زناة كلهم، واختار بن عبد البر ما قيل: أن البربر من ولد قبط بن حام.

وقيل: أنه وقعت حرب بين أولاد سام وأولاد حام فدارت على أولاد سام فخرج سام إلى المغرب حتى بلغ السوس الأقصى، وخرج بنوه يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعا وانقطع فيه خبره عنهم، أقاموا فيه وتناسلوا، وإذا وصلت إليهم طائفة

أقاموا معهم، وعمره أربع مائة وثلاثة وأربعون عاما، وقيل: خمس مائة وواحد وثلاثون، وتلك الأقوال كلها قيل: ضعيفة.

أما القول بأنهم من ولد إبراهيم وأنهم أخرجهم داود، فبعيد لأنه لم يكن بين إبراهيم عليه السلام وبين داود مدة يكثرون فيه تلك الكثرة الموجودة في زمن داود، قلت: لا بعد في ذلك فإنها منه تصلح لذلك وأكثر.

وأما القول بأنهم من ولد جالوت، أما العماليق فبعيد أيضا لأنهم ملأوا المغرب في أحقاب متطاولة وعوالم ملأت جانب الأرض، لا تكون منتقلة عن جانب آخر، وأقول: ليس ذلك بعيدا.

والقول بأنه نقلهم إفريقش يطله ما زعموا أنه وجدهم في إفريقية، وقال: ما أكثر بربرتكم، ولعله نقلهم إليها أمراؤه، فلما وصل إليهم بها قال ذلك.

وأما القول بأنهم من حمير من ولد النعمان أو من مضر من ولد قيس بن غيلان فمنكر من القول، وقد أبطله أبو محمد بن حزم، قال في الجمهرة: ادعت طوائف من البربر أنهم من اليمن ومن حمير، وبعضهم ينسب إلى بر بن قيس، وهذا كله باطل لاشك فيه، وما علم النسابون لقيس بن غيلان اسمه بر، وما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخ اليمن.

وأما ما ذهب إليها ابن قتيبة من أنهم من ولد جالوت من ولد قيس بن غيلان، فأبعد عن الصواب، فإن قيس من ولد معد، ومعد معاصر لبخت نصر، وبخت نصر خرب بيت المقدس بعد بناء سليمان بن داود عليه السلام بأربع مائة وخمسين سنة.

فصل في الأئمة الرستميين

تولى الإمام عبد الرحمان الإمامة بتيهرت سنة ستين ومائة، وقيل: اثنين وستين ومائة، وبقي في الإمامة سنتين، وقيل: غير ذلك، كانت أرضها ذات أشجار برية ووحوش

وسباع، فنادى مناد: اخرجي أيتها السباع والوحوش إلى ثلاث ليال، فمن رأيي بعدهن قتل، فشاهدوا الوحوش تحمل أولادها في أفواهاها هاربة من غير أن يهيجها شيء سوى النداء - والحمد لله إذ وقع لأصحابنا ما وقع للصحابه والتابعين في القيروان - وأحرقوا الشجر واحتالوا في إزالتها، وتبدى لهم أسد في موضع المصلى فقتلوه، وتأولوا أنها موضع لا يفارقه سفك الدماء.

فصل في تاريخ تيهرت

تَقَدَّمَتْ هي تيهرت، ولما نزلوا تيهرت قالت البربر: نزلنا تاكمرة ومعناه الدف، إذ كانت مربعة كالدف، واعلم أن اللحن والتحريف كليهما قبيحان، ومما شهر فيه التحريف أسماء البلدان، ومن ذلك قول النصارى والروم ومن جهل من أهل التوحيد جبل الطار، وإنما هو جبل طارق أضيف إلى طارق بن زياد، وهو جبل عند الجزيرة الخضراء من الأندلس، عبر إليه طارق بن زياد ليفتحه، ويفتح الأندلس في قصص ينشرح لها الصدر.

قال أحمد بن قاسم: الربع الثاني الإفريقي كانت فيه فيما مضى مدينة عظيمة تسمى إفريقية وبالمعجم أفرقة، كانت بقرب تونس المحروسة بالله، وفي زماننا هذا يعني عام ألف واثنين وعشرين، يسمى هذا الربع ببلاد المغرب، وابتداء هذا الربع من بحر سويس، والبحر المحيط دائر به من القبلة والمغرب، والبحر الصغير من جهة الجوف والمشرق، وإنما لفظ تونس فهو بضم التاء وكسر النون، علم منقول من المضارع، ففيه العلمية ووزن الفعل، وفيه معهما التأنيث إذ روعي معنى المدينة، وذلك من الإيناس ضد الإيحاء، والبقونس نوع من السمك، يقال: لولا البقونس لم تخالف أهل تونس، وأهل تونس موصوفون باللوم والبخل الشديد والخروج عن الولاية، قال بعض وُلَّاهم:

لعمري ما ألفيت تونس كاسمها، ولكنني ألفيتها وهي توحش، وهذا كما قال إبراهيم الأصلي:

دخلت فاسا وفي شوق إلى فاس والجن يأخذ بالعينين والرأس
فلست أدخل فاسا ما حييت ولو أعطيت فاسا وما فيها من الناس

وبعد أن ذهبت الإمامة وأصحابنا من تيهرت دخل أهلها الجهل، واتصفوا بالحمق، حكى أنه رفع إلى قاضيهم بعد ذهاب أصحابنا عنها جنانية، فما وجدها في كتاب الله، فجمع الفقهاء والمشايخ فقالوا كلهم الرأي للقاضي، فقال القاضي: إني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثم أفتحه فما خرج عملنا به، فقالوا: وُقِّتْ، افعل، ففعل، فخرج: "سنسمه على الخرطوم" فجذع أنفه.

ويقال: تيهرت وتاهرت هي اسم مدينتين متقابلتين، قيل بأقصى المغرب، وليس كذلك، بل هي أقرب إلى المغرب الأوسط، يقال لإحداها تاهرت القديمة، وبالبربرية تقديمت، والأخرى الحديثة، ويقال الجديدة، وبالبربرية تجديت، وكلتاها كثيرة الأشجار ووفرة الثمار، وسفرجلها يفوق سفرجل الدنيا طعما وحسنا، وفيها الأنداء والأمطار والسحاب وشدة البرد، قلما ترى الشمس بها.

ودخلها أعراي وتأذى من شدة بردها فخرج إلى السودان، فأتى عليه يوم شديد الحر فنظر إلى الشمس راكدة على قمم رؤوسهم فقال مشيرا إلى الشمس: والله لئن عززت في هذا المكان لطال ما رأيتك ذليلة بتاهرت. قيل: كثر غيمها وثلجها لأنها في تل عال. قال بكر بن حماد:

ما أخش البرد وريعانه وأطراف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم متى ما بدت كأنها تنشأ من تحت
فنحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على سمت
نفرح بالشمس إذا ما بدت كفر الدَّمِّي بالسبت

قيل: هذه تاهرت الجديدة، وأما القديمة فهي من الجديدة على خمسة أميال من جهة المشرق للجديدة، وبنوا لتاهرت أربعة أبواب: باب الصفر، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من القبلة، ونهر آخر يجتمع من عيون سمى نافسا، ومنه تشرب بساتينها، وبنيت تيهرت قبل فاس بخمسين سنة.

قيل: كانوا يبنون تيهرت بالنهار وإذا جن الليل تهدم، فبنوا عند ذلك تيهرت السفلى، قيل: وهي تحت جبل كزول السياح على تلؤل منداس، واختطوها على وادي ميناس، النابعة منه عيون بالقبلة، تمر بها و بالبطحاء إلى أن تصب في وادي الشلف، وكان بناؤها فيما قيل: سنة أربع وأربعين ومائة.

فصل في تسمية عمان

وأما عمان فعلى ساحل بحر اليمن، شرق هجر، سميت بعمان بن معان بن إبراهيم الخليل عليه السلام، قال سيدنا محمد ﷺ: ((إني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطئ البحر الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها)). وعن الحسن البصري: هو المراد من قوله تعالى: ((ياتين من كل فج عميق)) يعني من عمان، وعنه ﷺ: ((من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان)) ويضرب المثل بحجرها. قال زكرياء بن محمد بن محمود: بها اجتماع الخوارج الإباضية في زماننا هذا، وليس بها من غير هذا المذهب إلا غريب، وهم أتباع عبد الله بن أباض، الذي ظهر في زمان مروان بن محمد آخر بني أمية.

فصل في إمامة عبد الوهاب

وبعد موت عبد الرحمان بن رستم تولى الإمامة ابنه عبد الوهاب الإباضي، ومكث فيها عشرين سنة فمات، وللمالكية عالم اسمه عبد الوهاب من سلفهم، وليس هذا؛

وذلك بعد أن جعلها الإمام عبد الرحمان بن رستم شورى بين ستة، كفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عبد الوهاب ابنه ولم يبدأ به هو، ومسعود وعثمان وهما أندلسيان، وأبي قدامة يزيد، وأبي الموفق، وسكر بن صالح، ومصعب بن سدمان. وكان الإمام على أهل عمان زمان الإمام عبد الرحمان رجلا يسمى الوارث، ويسمى الجلندي، لأن كل قائم بعمان يسمى الجلندي، ولو شهر به الجلندي بن مسعود، ويأتي إن شاء الله الأسماء المتداولة للسلطين.

وأبو عبيدة رضي الله عنه حي في زمان الإمام عبد الرحمن بن رستم، ومات والإمام عبد الرحمن حي، وأشهر تلامذة الربيع بن حبيب، بقى بعده في خلافة الإمام عبد الوهاب، وكان يقول: عبد الوهاب إمامنا، ولا بأس باجتماع إمامين أو أئمة في زمان واحد إذا فصلت بينهم سلاطين لا تطاق، أو قوم لا يطاق، أو حال بعد المسافة.

فصل في إمامة أفلح وابنه محمد وابنه يوسف

لما مات الإمام عبد الوهاب تولى الإمامة ابنه أفلح ومكث فيها ستين سنة، ولما مات الإمام أفلح تولى بعده الإمامة ابنه الإمام محمد بن أفلح ومكث فيها أربعين سنة، ولما مات الإمام محمد ابن أفلح تولى الإمامة ابنه يوسف بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمان، ومكث في الإمامة أربع عشرة سنة فمات.

فصل في نصرة نفوسة للدولة الرسمية

واعلم أن نفوسة بلغت في التقوية لسلطنة الرستميين بأرض تاهرت مبلغاً عظيماً لم يبلغه غيرهم في مغربنا هذا، ولذلك قال الإمام عبد الوهاب رضى الله عنه: إنما قام هذا الدين بسيف نفوسة وأموال مزاتة، وكانت نفوسة في ولايته تسعة وتسعين ألف فارس، وزناتة في اثني عشر ألفاً وذلك غير راجل، وأرسلت إلى الإمام عبد الرحمن الإباضية الذين بالبصرة من عراق العرب ثلاثة أحمال مالا، فشاور المسلمين فقالوا له:

أقبلها، فقبلها ففرقها في الفقراء وشراء السلاح والعدة، بحضرة من جاءوا بها، فرجعوا إلى المشرق فأخبروا أهل المشرق بعدله، فأرسلوا إليه بأموال كثيرة تقرب من عشرة أحمال، فشاور المسلمين، أعني أصحابه فقالوا: رأيك يا أمير المؤمنين، فقال للرسول: ارجعوا بها إلى أربابها من أهل المشرق فإنهم في أهل الجور، ونحن تقويننا بإذن الله واستغينا عنها، وهم محتاجون إليها، وشق ذلك عليهم لبعد المسافة وثقل الأحمال وطأوعوا ورجعوا بها.

فصل في وقعة مانو وانقراض الدولة الرسمية

وفي خلافة الإمام يوسف بن محمد بن أفلح صارت وقعة مانو، ومانو قصر من قصور الجاهلية كانت عنده الوقعة وبها انقضت الإمامة، وذلك في خلافة المتوكل من بني عباس، وذلك أنه أكثرت الكتابة إلى المتوكل من القيروان وطرابلس وغيرها، أن دولة الفرس الذين أسلموا، قامت بتاهرت فبنفوسة، فأرسل عسكريا جرارا إلى تيهرت يمرون على نفوسة، فإن عارضتهم نفوسة قاتلهم العسكري، ثم يمضوا إلى تيهرت وإلا تخلصوا إلى تيهرت، وعد ذلك خذلانا من نفوسة، حاشاهم لم يخذلوهم، ولو شاء الله لأنذرت نفوسة أهل تيهرت وخلوه يمضي إلى تيهرت، فإذا نشب القتال حيث شاء الله خرجت نفوسة من وراء العسكر على العسكر، ولكن شاء الله غير ذلك، لما وصل العسكر حيز طرابلس وعليهم إبراهيم بن أحمد من بني الأغلب سمعت بخبره نفوسة فتعرضوا له، وطلب منهم أن يتركوا له على ساحل البحر مقدار نشر العمامة ليجوز بمن معه، فأبوا، فكان القتال، واستحضر فصارت الرجال تنهّد من الصفيين كالحيطان، وكانت الدائرة يومئذ على نفوسة، مات منهم اثنا عشر ألفا، أربعة آلاف منهم أنفسهم، وثمانية ممن انضم إليهم من سائر البربر وغيرهم، ومن ذلك العدد كله أربع مائة عالم.

فصل في هروب يعقوب بن أفلح إلى ورقلى

وخرج يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب من تيهرت في خيل من أصحابه مع أهلهم وما استصحبوه، فتبعهم عسكري الحجابي، وكان يعقوب ^{خليفة} على فرس يضرب به المثل في المغرب مع مزيد شجاعته، وكلما قرب منهم العدو وقف لهم ورددهم واستقبلهم بوجه فرسه فيرجعون، وهكذا حتى أيسوا ومضى هو ومن معه إلى ورقلى، وكان منجما ونظر في طريقه إلى الطالع فالتفت إلى أصحابه فقال لهم: لا يجتمع منكم ثلاثة إلا طلبوا فافترقوا، وطلبه أهل ورقلى أن يولّوه على أنفسهم، فقال: لا يستتر الجمل بالغنم، فأرسلها مثالا، ومعناه أن التولية أمر عظيم، تحتاج إلى قوة، فكما أن الجمل لا يختفي في الغنم، كذلك الإمارة لا تقوم بالضعفاء، وكأنهم أرادوا الإمامة العظمى، أو ما يقرب منها، ولذلك أجابهم بما ذكر، وربما تبادر من قولهم على أنفسهم أنهم لم يريدوا الإمامة العظمى والله أعلم.

فصل في ذكر أسماء الملوك والسلاطين

في إنجاز ما وعدت به من ذكر الأسماء المتداولة للسلاطين، فمنها تبع لكل ملك من ملوك حمير باليمن من العرب، وإنما سمي جميرا لكثرة لباسه الثياب الحمراء، ومنها النعمان لكل ملك من العرب يكون مع كسرى، ومنها الجلندى لكل ملك بعمان من العرب، وكسرى لكل ملك من ملوك الفرس، وقيصصر لكل ملك من ملوك الروم، ويروى أن اسم قيصر هرقل، وقيل: اغطس، وقيصصر كلمة إفريقية ومعناه شق عنه، وأنه كان يفتخر على الملوك بأنه لم يخرج من الرحم، وأنه وضع هذا الاسم بعد ذلك لكل ملك من ملوك الروم، وأن هرقل اسم لمن ملك الشام، وفرعون لملك القبط، وأخشيد لملك فرغانة، وملك مصر في الإسلام سلطان قبله، وملك اليمن تبع، ومن ترشح للملك سمي قبيلا في اليمن، وبطليموس لمن ملك اليونان، والفتيون

لمن ملك اليهود، والمعروف مالح، ويقال: شالخ أيضا، ومن ملك الصابية، فهو رأس الجالوت والنمرود ودهمان، ويعفور لمن ملك الهند، وغانة لمن ملك الزنج، وفرعون لمن ملك مصر والشام قبل الإسلام، وإن أضاف إليهما الإسكندرية سمي العزيز، ويقال: المقوقس كذا قيل، وكسرى لمن ملك العجم، والنعمان لمن ملك العرب من قبل العجم.

وقيل: دهما وفعفور لملك الهند، وجرجير لملك إفريقية، وشهريان لملك أخلاط، وفور لملك السند، والأصفر لملك علوى، ورثبيل لملك الخزر، وكابل لملك النوبة، والنجاشي لكل ملك من ملوك الحبشة، وفرعون لكل ملك من ملوك مصر في الجاهلية من القبط أو من غيرهم، وقد سمي نمرود فرعون، وجالوت لكل ملك من ملوك البربر، والازريق لكل ملك من ملوك نصارى الأندلس، وخاقان لكل ملك من ملوك الترك، وملك فرغانة أخشيد وأصله أقشيد، ومعناه الشمس البيضاء، وملك جرجان صول، وملك أذربيجان أصهيد، وملك طبرستان سالار، و ملك الديام كاسان، و ملك الأنباط نمرود، وملك المسلمين خليفة، وملك الهند بلهوم، والله أعلم.

و موبذ و موبذان رئيس حكماء الفرس، يأخذون عنه شريعتهم، والموابذة القضاة، والهرايدة كالخلفاء للموابذة، والأصهيد هو حافظ الجيوش وأمير الأمراء ومدارة الوزير الأعظم، والمرازبة حفظة الثغور وولاة المملكة.

الباب السابع

وإنتشار الإباضية بين المشرق والمغرب والسودان

سئلنا لم كان بعض الإباضية في موضع وبعض في موضع آخر مفصول بينهم بغيرهم من أصحاب المذاهب، فالجواب: إن ذلك من جهة حملة العلم عن أبي عبيدة، ومن

حيث أنه كان في بعض الأقاليم مذهبهم متصلا بالناس، ثم تخللهم غيرهم، أما من جهة حملة العلم فلأن خمسة منهم حملوه من البصرة إلى المشرق بخراسان، وحملوه إلى عمان وحضرموت، و حملوه إلى حيث يرجى قبوله، وحملوه إلى غير تلك المواضع ولم يقبل فيه عنهم، وقبل عنهم في المواضع التي وفق الله أهلها، وخمسة حملوه إلى المغرب راجين أن يقبل فيه، فكان من أمر الله وقضائه كان قبل عنهم من تيهرت إلى الإسكندرية إلا تونس، ولما كانت المالكية ومن قبل المالكية كثرت الحروب، فكانت البلاد تؤخذ من أيدي أصحابنا شيئا فشيئا، فصار بعض لهم وبعض لغيرهم، مفروق ذلك متخلل إلى أن بقي ما بقي الآن، وكانت ورجلان أكثر من مائة وعشرين بلدة، بعضها مدينة وبعضها قرية، دخلها يحيى بن إسحاق فأفسد فيها، وكانت فتن، وعُمرت سدراتة، وأصل سدراتة قبيلة كبيرة من إفريقية.

وقد كان أهل مذهبنا في السودان، وذلك أنه مضى إليهم بعض أصحابنا ووجدهم مشركين، وقد علم أنهم مشركون فردهم إلى الإسلام على مذهب الإباضية، فسمعت بهم المالكية فتسارعوا إليهم وردوهم مالكية، وجاء بعض الأعراب في هذا الزمان ممن يسافر إليهم و أخبر أن فيهم من يوافق الإباضية.

وإيضاح ذلك أن علي بن يخلف من الإباضية وهو من نفوسة من بلد تميمجار رحمته الله، قبل هذا التاريخ بمئات من السنين، بل ذلك سنة خمس وسبعين وخمسمائة كما ذكر البكري صاحب المسالك والممالك، وهو من قومنا المالكية، سافر إلى دواخل غانة تاجرا، إلا أن صاحب المسالك والممالك لم يذكره باسمه، ولما سافر إليها ووصلها أقام بها، وكان له مقام عند مالكةا، وكان عظيما تحته اثني عشر معدنا، يستخرج منها التبر، ووقع القحط في بلادهم واشتكت الرعية إلى السلطان، وذلك بمدينة مالي، فقبروا لأصنامهم الذبائح فاستغاثوا بها ولم يغاثوا، وكان الشيخ علي بن يخلف على ارتحال فقال له الملك ادع ربك لعله يغثنا، قال: لا يجوز وأنتم تعبدون غيره، قال:

كيف صفة الإسلام، فما زال به حتى وُحِد وتكلم بكلمة الحق، فخرجوا معا إلى كدية فصار يصلي به علي، ويتبعه على فعله، وإذا دعا قال آمين، فلما أصبح عظم المطر، وحالت السيول بينهما وبين المدينة، وما دخلوا إلا في السفن مع النيل، فدامت سبعا تسح ليلا ونهارا، فلما رأى الملك ذلك دعا أهل بيته ثم وزراءه ثم أهل المدينة ثم من قرب فأجاب جميعهم، وأبى من بعد، وقالوا: نحن عبيدك ولا نبدل ديننا واشترط عليهم أن لا يدخل كافر المدينة، وإن دخلها قتل، فالتزموا ذلك وأخذ يعلمهم الصلاة وفرائض القرآن والدين، فوردت عليه كتب أبيه يحضه على الجيء، ولم يجعل له إذنا في المقام ولو قليلا، فأخبر الملك بأنه على سفر، قال له: لا يحل لك أن تتركنا نعود إلى العمى بعد الهدى، قال: طاعة الوالدين واجبة في الدين، وحجر عني الإقامة ولم أجد بداً من ذلك، وهذا سبب دخول الإسلام بلاد السودان غانة وما يليها، وتسامعت بهم أهل الخلاف فقصدوها من كل أوب فردوهم إلى مذهبهم.

قال الشيخ عبد الله بن يحيى بعد ذكر ذلك كما في السير وهو في عصري أن بعضا من أهل فزان ممن يسافر إلى غانة أخبرني أن في غانة قوما يخالفون الأشعرية، وأن بعض المغاربة أخبرني أن فيها قوما مذهبهم كمذهب بني مصعب.

قال العلامة الشيخ عبد الله بن يحيى النفوسي: وأظنه تربي؛ ولعل ذلك من زمان ذلك الشيخ الذي ردّهم إباضية، والشيخ عبد الله بن يحيى هذا عالم وارع من نفوسة.

والمخالفون في تلك الجهة الشافعية من جهة مصر في النيل، والمالكية من جهة المغرب، وما بينه وبين القبلة وأيضا دخلت العرب المغرب قبل القرن الخامس، وفتحوا ما فتحوا، وجازوا عرض البحر إلى الأندلس أيضا، ولكن في القرن الخامس كثرت العرب في أرض المغرب هروبا من سلاطين الجور في المشرق، فأكثروا الفساد في المغرب نهباً وغارة، فازداد ضعف أهل الحق وانقطعوا عن أكثر المواضع حتى صاروا إلى ما عليه نحن الآن من الكتمان.

فصل في معنى قول بعضهم

لسنا في ظهور ولا شراء ولا دفاع ولا كتمان

وأما معنى قول بعضهم لسنا في ظهور ولا شراء ولا دفاع ولا كتمان، أننا لم نكن في الثلاثة الأولى قطعاً، وأما الكتمان فندعيه ولسنا فيه، لأن معنى الكتمان في هذا العرف الخاص: التمسك بالدين في إخفاء وكنم والمحافظة عليه في كنم لئلا يتسبب بإعلانه في زواله، وإذا لم يحافظ عليه إنسان فعلام يكتنم؟، فلا كتمان بذلك المعنى، قال عليه السلام: ((طوبى للغرباء)) قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: ((الذين يصلحون أنفسهم عند فساد الناس)). وفي رواية قال: ((هم ناس قليلون في ناس كثيرين من يغيظهم أكثر ممن يحبهم)).

و روي أن رجلاً كان يقول: اللهم اجعلني من القليل، فسمعه عمر فقال: من تعني؟ فقال: أعني قوله تعالى: "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" وفي الحديث: ((بدأ هذا الدين غريب وسيعود غريباً)) ولا تزرى قلة أهل هذا المذهب به، وقد قال الله تعالى: "قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرُهُ الْخَبِيثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [المائدة 100] وما الخبث إلا بالشرك والبدع والكبائر والمعاصي، وبعض الشر أهون من بعض، فمن تجمع كلمة الشهادة مقدم، فنحن في زمان نودّ بعد أن لم يكن أهله من أهل مذهبنا أن يكون أكثر أهله من لا يشرك بالله، وقد أقر الله المؤمنين على فرحهم بغلبة الروم على فارس إذ كانت الروم أهل كتاب، وفارس غير أهل كتاب، فكيف لا يفرح بغلبة من قبلته قبلتنا، وكتابه كتابنا.

ومع ما تقدم لا تتوهم أنه لا يشكل تفضيل القليل، فإنه ليس تفضلنا للقلة التي بنا، بل التفضيل لموافقتنا الميزان الإلهي وهو القرآن والسنة، فها نحن أولى أن نقول إنا أهل الحق لموافقة ذلك، والحال أنا أهل قلة، والقلة لا تضرنا، وقد قام أبو يحيى في اليمن في

القرن الثاني عام 129 تسعة وعشرين ومائة، في زمان أبي عبيدة، وبأمره قام إذ رأى الجور منتشرا، وملك حضرموت واليمن ومكة والمدينة، وما ولاهما.

فصل في نسب الدين

قال المؤلف أحمد اطفيش: إن جدي الأعلى المحفوظ الشيخ محمد بن عبد العزيز أخذ الدين عن أبي مهدي عيسى بن اسماعيل وهو يسجني، وأبو مهدي عيسى ملكي، وكان يسير من يسجن إلى مليكة ليقرأ عليه رابعا على فرس، فعيب عليه ذلك، فذكره لشيخه فقال: اركب على واحد وقُدْ واحدا، فكان يجيئه على فرس ويقود آخر، وكان ~~حظه~~ ذا مال كثير.

وجملة ما حفظت بيني وبين هذا الجذ من الآباء خمسة، وذلك أبي أحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل، ولجدي محمد بن سماه عبد العزيز، ولم يحضر لي الآن من بين جدي إسماعيل وجدي عبد العزيز ابن الشيخ محمد بن عبد العزيز، وليس عيسى بن إسماعيل الذي هو جدي عيسى بن إسماعيل الذي هو من مليكة، وأبو مهدي عن الشيخ سعيد الجري عن أبي النجاة يونس بن سعيد عن أبي يحيى زكريا الصدغياني الجري عن أبي عمران موسى بن أيوب عن الشيخ سعيد بن أحمد الجري عن أبي الفضل أبي القاسم بن إبراهيم البرادي عن الشيخ صالح المغراوي عن الشيخ عثمان الزراتي عن الشيخ يفاؤ الأبدلاني، ومعنى يفاو مضى منير، وهو لقب بالبربرية، والشيخ يفاو أخذه عن أبي ميمون بن تكسين عن الشيخ عيسى النفوسي اليفرني عن أبي يعقوب يوسف، -وليس صاحب كتاب العدل- عن أبي عمرو عثمان بن خليفة عن أبي العباس أحمد بن محمد عن أبي الربيع سليمان بن خلف عن الشيخ أبي عبد الله بن بكر عن أبي نوح سعيد بن زنگيل عن أبي خزر يغلى بن زلتاف عن الشيخ حسن بن أيوب عن الشيخ أبي عثمان سعيد

ابن أبي يونس عن الإمام أفلح عن أبيه عبد الوهاب عن أبيه عبد الرحمان بن رستم الفارسي -وهو باني تيهرت-، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن جبريل ~~عليه السلام~~ عن مكائيل عن إسرافيل عن اللوح المحفوظ عن الله عز وجل.

وأخذ جابر أيضا عن تسعة وستين صحابيا، و حوى ما عندهم من العلم كله، وأما ابن عباس فأخذ عنه جابر ولم يحو ما عنده من العلم لكثرت، وكذا ابن عباس أخذ العلم عن جماعة كبار من الصحابة بعد النبي ﷺ.

ولد جابر عام خمسة وتسعين، ومات عام مائة وتسعة وسبعين، وعمر أبي حنيفة حين مات جابر خمسة عشر عاما، وتولى أبو حاتم يعقوب طرابلس الغرب ونواحيها عام أربعة وخمسين ومائة، وعسكره ثلاث مائة ألف وثلاثون ألفا، وبعده عبد الرحمان بن رستم في تيهرت والمغرب على حد ما مر عام ستين ومائة، وقيل أحد وستين ومائة، وبعده عبد الوهاب ابنه وتحت طاعته أهل نفوسة في تسعة وتسعين ألف فارس غير الرجال وذلك بأهل القرى والبدو، وتحت طاعته مزاة من أهل المذهب أيضا في اثني عشر ألف فارس والله أعلم.

ثم إنه لا يخفى أن أهل كل عصر لا يجتمعون على الآخر من عالم واحد بل لهم طرق لا تحصى، ولكن معناها واحد ومنتهاتها واحد.

ففي القرن السادس: عن الشيخ مقرر بن محمد البغطوري عن أبي محمد عبد الله ابن محمد المجدي عن أبي الربيع سليمان بن موسى عن أبي زكرياء وأبي سهل التندميري وأبي يوسف وجدليش عن أبي يحيى يوسف وأبي نصر زار وأخذه أبو يحيى وأبو نصر عن أبي محمد الكباوي وأبو محمد عن أبي هارون موسى بن يونس عن أبي محمد خصيب عن أبي يحيى زكرياء بن يونس وأبي الربيع سليمان بن هارون وهما عن أبي هارون بن يونس عن أبي القاسم سدرات عن أبي ذر أبان عن أبي خليل عن أبي

وصفاته سبحانه، والجنة والنار، والحساب والعقاب، وما وعد الله للمطيع والعاصي، وكذبني وقال: لو صح عندك ما تقول لما بلغت إلينا من طلب الدنيا، فما زلت أذكره نعم الله وآلائه حتى أسلم وحسن إسلامه وقد أعطي قوة.

فصل في البلدان

مثل ذلك الفصل انفصال مالطة للإنكليز عن الجزيرة الخضراء، وانفصال الجزيرة الخضراء و مالطا معا عن المدن السبعة المتقدم ذكرهن التي هن جزاير شمال الأندلس على المحيط الشمالي أو الجوفية لا فرانس، وكان أهلها قديما يوصون بالمسلمين خيرا، يقولون: هم سيف الله على عبدة الأصنام، ومرادي بكون السبع شمال الأندلس أنهن على سمت الأندلس من خلفها، ولو فصلهن بلاد فرنسا، فأما مالطة ففي بحر الروم بين الإسكندرية والجزاير، وأما الجزيرة الخضراء فغرب الأندلس وهي منه، وهن للإنكليز، ولهم أيضا في الهند في الزمان الماضي والآن، وكما أن شرق الأندلس للإفرنج الفرنسيين مثل قرطبة وشاطبة ومرسية ودانية وكلهن في الأندلس، وقد فصلت عن بارز ويقال: بارش ويقال: بريش، وعما اغتصبوه من بر العدو، وكما انفصلت بالإسبانيا، ويقال: اسبنيول، مثل: جيان ومالقة من الأندلس.

واعلم أن مرسية المذكورة من الأندلس يقال لها بكلام العجم مرسيليا، وقد كانت في أيدي المسلمين، وهي غير مرسية التي على بحر النيل، ومرسية التي في الأندلس التي هي الآن للفرنسيين هي من بلادهم الجنوبية، وذلك بالنسبة إلى بلادهم وراء البحر وجزائريهم، وأما بالنسبة إلى أرض العدو أعني الجزائر و بونة ونحوهما فمرسية شمالية للجزائر، كانت قبل ذلك لبني طاهر من أهل الإسلام، ثم صارت إلى المعتمد بن عباد، ثم صارت للملثمين وهم هؤلاء الذين يسترون أنوفهم وأفواههم وما يليها بلثام، ومنهم يحيى بن إسحاق المبروقي الملثم الذي أفسد في ورجلان وأوقع فيها فتنا عظاما.

المنيب عن محمد بن إسماعيل بن درار عن أبي عبيدة عن جابر عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن جبريل عن ميكائيل عن إسرائيل عن اللوح المحفوظ عن الله عز وجل. وفي القرن الثامن: الشيخ عامر الشماخي وفي عام اثنين وسبعين منه مات بعد سبع مائة، أخذ عن عيسى بن عيسى الطرميسي عن يحيى بن وجدليش عن أبي يحيى زكرياء بن إبراهيم عن أبي يوسف وجدليش عن أبي سليمان داوود عن أبي زكرياء يحيى بن الخير عن أبي الربيع سليمان بن هارون عن أبي زكرياء عن أبي محمد خصيب عن أبي يحيى الفرستائي عن أبي هارون الجلالمي عن أبي القاسم البغطوري عن أبان عمن تقدم.

وفي القرن العاشر: عن محمد بن زكريا عن أبي سليمان داوود بن إبراهيم التلاتي الجربي عن أبي زكرياء عن عيسى بن يحيى بن زكرياء عن يعقوب بن أحمد اليفري عن عبد الله بن عبد الواحد عن خاله سليمان بن موسى عن جدة الشيخ عامر إلى آخر ما مر.

ويوجد عن أبي عمرو السوفي عن أبي العباس عن أبي الربيع سليمان بن يخلق عن أبي عبد الله محمد بن بكر عن أبي زكرياء فضيل عن أبي مسور عن أبي معروف عن أبي ذر أبان عن أبي خليل عن أبي المنيب عن أبي عبيدة إلى آخر ما مر.

ويوجد عن أبي محمد عبد الله بن محمد المجدي وأبي يحيى توفيق عن أبي داوود بن هارون عن داوود عن ابن أبي يوسف عن أبي زكرياء يحيى عن أبي الربيع سليمان بن موسى عن يحيى بن سفيان عن البشر ابن محمد عن وجدليش عن أبي يحيى يوسف بن زيد عن أبي نصر عن أبي محمد يصلتين بن محمد عن أبي هارون الجلالمي عن أبي القاسم البغطوري عن أبان عن أبي خليل إلى آخر ما مر.

وسافر أبو يحيى إلى بلد السودان وذلك في زمان سابق فألقي ملكهم ناحل الجسم ضعيف القوى، فقال له ما بك؟ قال: خوف الموت قال أبو يحيى فأخبرته عن الله

وكما فصلت شلوين وهي بلدة بشرقي الأندلس وهي من الأندلس مع ما معها، على ما ذكر ابن سعيد من أن شلوين حصن بالأندلس، وأن ما شهر من أن شلوين هو الأشقر الأبيض بلغة الأندلس غير صحيح، وهذا الذي ذكر من أنه الأشقر الأبيض هو الذي يذكر في كتب النحو.

يقال: أبو علي الشلوين وهو إمام كبير في النحو، وأنه كان أشقر أبيض، وهو ما عليه ابن خلكان، وعنه شهر، وأبو علي هذا هو عربي صحيح النسب من الأزد، وعلي ما ذكر ابن سعيد يكون أبو علي من حصن شلوين، فيقال له الشلويني بياء النسب، نسبة إلى ذلك الحصن، بل صرح ابن سعيد بذلك، وعلي كل حال فاللفظ بياء فارسية بين الباء والفاء العربيتين، وهذا قبل التعريب، وأما إذا نطق به في الكلام على طريق لغة العرب فما هو إلا بياء عربية، والنطق بياء فارسية بعد استعماله في عبارة عربية لا يجوز، وكذا إدخال أل عليه يوجب ترك الباء الفارسية، لأن أل عربية.

ثم تذكرت ما في بعض الكتب أن أسلوبين بفتح الهمزة وسكون السين وهي مهملة وهو لغة وضم اللام وسكون الواو بعدها موحدة مكسورة فياء ساكنة فنون، إقليم من أقاليم أوروبا على جون البنادقة المسمى بحر وندليق وهو الآن في حكم سلطان النمسا، ويسمى أبلريا أو الليبريات.

فصل في أفضلية أهل البلدان

وليس أهل بلد أفضل من أهل بلد آخر وليس أهل بلد أفضل من أهل بلد آخر إلا بترك الأصنام ورفضها، وبإخلاص العبادة لله وحده سبحانه، والإيمان برسوله سيدنا محمد ﷺ والقرآن وسائر أنبيائه وكتبه، ولا عبرة بتقدم بلد في العمارة على غيره، وأهل بلد على أهل بلد آخر، وقد قيل: إن قدماء المصريين كانوا يظنون أنهم أقدم ما عداهم من الأمم، فأراد بعض ملوكهم أن يريهم أنهم ليسوا أقدم الجميع، فصنع تجربة

غريبة وهي أنه أمر بتربية طفلين صغيرين في خص صغير ورتب لهما راعيا ليريهما بلبن المعز، وقيل: رتب لهما مرضعتين وقطع ألسنتهما ونهى أن يدخل إليهما أحدا وأن لا يتكلم الراعي بحضرتهما، فلما بلغ الطفلان سنتين ودخل الراعي إليهما على العادة، صاح كل منهما ومدّ يده للراعي وقال: بِكُوسْ بِكُوسْ بكسر الموحدة وضم الكاف المشددة بعدها واو ساكنة فسین مهملة، فتعجب الراعي من هذه اللغة الغريبة التي كررها عليه، وأخبر الملك بذلك، فأمر بإحضارهما بين يديه يسمع منهما ذلك بنفسه، فصاحا بتلك الكلمة السابقة بنفسها، فلم يبق حينئذ إلا معرفة أهل هذه اللغة، فمن كانت عنده مستعملة فهو الأقدم، فبحث عن ذلك غاية البحث فوجدها مستعملة عند أمة يقال لها فريجية بكسر الفاء والراء ببلاد أناطولي، ومعناها عندهم الخبر، فعرف بذلك أن لكل أمة من الأمم أن تدعي الأقدمية النسبية، وأن هذا ليس من خصوصيات مصر.

الباب الثامن من الرسالة

إذا اجتمع الشح وفساد الدين وحب الدنيا

إذا اجتمع الشح وفساد الدين فهناك غاية الذم ويدور إن شاء الله على جامعهما عاجل الغم، وأجل العذاب والهزم، ويقال: بالمثل يتضح الحال، جاء لغز عظيم من المشرق عجز عن حله العرب والعجم وأهل المغرب والمشرق مشركوهم وموحدوهم حتى وصل يد مؤلف هذا الكتاب محمد اطفيش الميزابي حله بإذن الله جل وعلا قاصدا أن يكون إذا حله حكمه ملوك الإفرنج، وأرغب الناس في حله من الإفرنج الفرنسيين وأن يكون إذا حكموه أعني جعلوا له حكمه، يختار شيئا ما فيثبتونه له، طلب منه الرفق بأهل التوحيد بأن يسقط خراجهم أو ينقص منه، وأن يلزمهم الحكم

بالعلم ويهددوهم على الجور، وأن لا يفسدوا أنكحتهم، وأن يخلوا بينهم وبين من أرادوا ضربه على الخمر، أو الفسق، وأن لا يعطلوهم عن الحج، وإن لم يسمحوا بذلك لأهل التوحيد كلهم فليفعلوهم للميزابين، ولم يفعلوا شيئا من ذلك ولا قاربوه، بل لما وجهت شرح اللغز إليهم قالوا: ربنا من محمد اطفيش ربنا، وقالوا: نترك اسم محمد اطفيش منه وننسبوه لأنفسنا، وقد كان أدنى ما يفعله الشحيحون أن يقولوا: بلغنا شرحك كثر الله خيرك، وما قالوا وما كتبوا، وقد قال شاعرنا:

لا خيل عندك تهديها ولا مال :: فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وقد رأيت في بعض الكتب: إن أشح الناس النصارى، ومن جملة كلامهم لا تعطوا الناس شيئا لئلا يقعدوا عن الكسب، وكان الصواب أن يقولوا: جودوا على الناس ومروهم بالكسب والتقوى، فإذا فعلوا وقالوا كانوا قد واسو وأرشدوا.

ومن جودهم المعدود لو كان جودا إن الباب بتشديد الباء رأى مسلما جائعا يشرف على الموت فقال له: إن خرجت من دين الحق إلى النصرانية أطعمتك.

ومن جودهم أن بنت ملك من ملوكهم دخلت قسطنطينية - صانها الله عز وجل - فجادت بقروش، وهل يعد هذا من مثلها جودا؟ وهاتان القستان عام السبعين والمائتين والألف، وهو عام جوع شديد، ولولا ما فيهم من الحمق لفعلوا بنا كل خير ديني ودنيوي بمجرد قوله تعالى: "أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" [الروم 1-5] إذ نصرهم الله على أعدائهم الفرس، ولا ترى أحب للدنيا منهم.

وقد قال في الباب الرابع من رسالة مار يعقوب: أيها الفجار أما تعلمون أن محبة هذا العالم هي عداوة لله، وكل من أحب أن يكون خليلا لهذا العالم فإنه يصير عدوا لله.

وقد كانت الروم والنصارى أهل كتاب هو الإنجيل، وضيعوا العمل به وتدينوا بدين الفرس، وفتحوا أبواب الزيادة والنقص لدينهم كما تقدم، إذ حرموا أشياء أحلها الإنجيل وأشياء فرضها، وأحلوا أشياء حرمها، ومع ذلك تسموا بأهل كتاب، وقد عبدوا الأصنام، ولا يحل الله عبادتها.

وقد كانت القبائل على سواحل بحر هذا المغرب عبدة أصنام قبل دخول الإسلام، والروم والنصارى أهل كتاب، وكانت القبائل أقوى منهم يأخذون الجزية منهم، أعني من الروم والنصارى، حكاها وهب ابن منبه رحمته الله، وهو مرضي عند الإباضية أهل الدعوة بغيرهم.

فصل في تسمية الروم

الروم ولد روم بن عيص بن إسحاق كانوا غير أهل كتاب، ثم دخلوا دين النصارى، وأما النصارى واليهود فنسبهم واحد، وهم ولد يعقوب بن إسحاق، ولا فرق إلا بالديانة، فالنصارى إسرائيليون آمنوا بعمسى، واليهود إسرائيليون كفروا به، وقبل عيسى كانوا كلهم يهودا، وقيل: الروم رجل على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل: قبله لحديث في ذلك ليس نصا فيه، وتقدم أنه لا نبي من الروم إلا أيوب، قيل: وابنه بشرا عليه السلام وقيل: لم يكن بشرا نبيا والله أعلم.

الباب التاسع

وَبَعَثَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عِنْدَ النَّصَارَى وَالرُّومِ

وقد جمع الدين الحنفي وهو دين سيدنا محمد ﷺ أما مختلفة، كلهم ينتسب إلى الدين، تقرر بذلك النصارى والروم، وذلك بعلامة لنا، قال هشام بن العاصي الأموي: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رجل من قريش إلى هرقل، - قال محمد اطفيش:

هو سلطان مخصوص للروم، لا اسم لكل سلطان منهم، وقيل غير ذلك كما يأتي إن شاء الله تعالى، وقد كانت له مدينة تسمى هرقله باسمه - ندعوه إلى الإسلام فقدمنا الغوطة يعني دمشق، فنزلنا على جيلة بن الأيهم الغساني، فأرسل إلينا برسول نكلمه فقلنا: والله لا نكلم رسولا إنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك، قال: فأذن لنا، فقال: تكلموا، فكلمه هشام ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود، فقال هشام ما هذا الثياب التي عليك، [قال:] لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، قلنا: ومجلسك هذا فوالله لناخذته ولناخذنك مُلك الملك الأعظم إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ قال: إن ذلك حق يكون ولكن لستم ذلك القوم، بل هم قوم يصومون النهار ويفطرون بالليل، فكيف صومكم فأخبرناه فامتلاً وجهه سواداً ثم قال: قوموا وبعث معنا رسولا إلى الملك، فخرجنا حتى إذا كنا قريباً من مدينة الملك، قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم جعلناكم على براذين، قلنا: لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون، فأذن لنا، فدخلنا على رواحنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة فأخضعنا في أصلها وهو ينظر إلينا فقلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، والله يعلم لقد تنقضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح، فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، فأرسل إلينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له، وحوله بطارقه من الروم، وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله أحمر، وعليه ثياب حمر، فدنونا منه فضحك فقال: وما عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم، وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لكم، وتحيتك التي تحيي بها، لا يحل لنا أن نحيتك بها، قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ فقلنا: السلام عليكم، قال: فكيف تحيون ملككم؟ قلنا بها، قال: وكيف يرد عليكم؟ قلنا بها، قال: فما أعظم

كلامكم؟ قلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، والله يعلم لقد تنقضت الغربة حتى رفع رأسه إليها، قال: فهذه الكلمة التي قلموها كلما قلموها في بيوتكم تنقضت بيوتكم عليكم، قلنا: ما رأينا هذا قط إلا عندك، قال: لو وددت أنكم كلما قلمتم تنقض كل شيء عليكم وإني خرجت من نصف ملكي، قلنا: لم، قال: لأنه أيسر لشأنها وأجدر أن تكون من أمر النبوة لا من حيل الناس، ثم سألنا عما أراد فأخبرناه، ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم فأخبرناه، فقال: قوموا، فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقمنا ثلاثاً، ثم أرسل إلينا ليلاً، فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأعدناه، فدعا بشيء كهية الربة العظيمة مذهبة، فيها بيوت صغار وعليها أبواب ففتح بيتاً وقفلاً فاستخرج حريرة سوداء فنشرها فإذا فيها صورة حمراء، رجل ضخم العينين عظيم الألتين لم أر مثل طول عنقه ولا لحية له، وله ظفيران أحسن ما خلق الله، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هو آدم عليه السلام وإذا هو أكثر الناس شعراً، ثم فتح لنا باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، رجل له شعر قطط أحمر العينين ضخمة الهامة حسن اللحية، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد أبيض اللحية كأنه يتسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا والله رسول ﷺ فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: نعم محمد رسول الله ﷺ فبكينا، والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس، فقال: آله إنه لهو؛ قلنا: نعم والله إنه لهو كأنما ننظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما والله إنه كان آخر البيوت ولكنني عجلته لكم لأنظر ما عندكم، - قال المؤلف أحمد اطفيش: انظر إلى هذا الرومي كيف حداقته حين أحضر صورته عقب صورة أبيه إبراهيم إذ هو من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام - ثم فتح باباً آخر فاستخرج

منه حريرة سوداء فيها صورة آدماء سمحاء، وإذا رجل قطط غائر العينين حديد النظر متراكب الأسنان مقلص الشفة كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا موسى عليه السلام وإلى جنبه صورة تشبهه مدهام الرأس عريض الجبين، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا هارون بن عمران، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صفة رجل آدم سبط ربة كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا لوط عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب بحمرة خفيف العارضين حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسحاق عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة تشبه صورة إسحاق إلا أن على شفته السفلى خالاً، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يعقوب عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صفة رجل أبيض حسن الوجه أقي الأنف حسن القامة يعلو وجهه النور يعرف في وجهه الخشوع يضرب إلى الحمرة، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسماعيل جد نبينا عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة تشبه صورة آدم عليه السلام كأن وجهه الشمس، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يوسف عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل احمر أحمر الساقين أخيش العينين ضخيم البطن ربة متقلد سيفاً، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا داود عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل ضخيم الألتين طويل الرجلين راكب فرساً، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا رجل شاب شديد سوداء اللحية كثير الشعر حسن العينين حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا عيسى بن مريم عليه السلام، قلنا: من أين لك هذه الصور فإننا نعلم

أنها صورة على حق لأننا رأينا صورة نبينا محمد عليه السلام تسليماً مثله، فقال: أن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس، فدفعها إلى دانيال، فصورها دانيال في خرق من حرير، فهذه بأعيانها الصور التي صورها دانيال، ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي، ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا، فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا بما رأيناه وما قال لنا، وما أخبرناه به، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، ثم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم والله أعلم.

الباب العاشر

قد علمت أن لإبراهيم حية لا يقصها ولا يحلقها، وكذا سائر الأنبياء لهم حية لا يقصونها ولا يحلقونها، إلا من خلقه الله ولم يجعل له حية، وهو آدم وهارون عليهما السلام. ومن سنة إبراهيم قص الشارب، فانظر إلى هؤلاء الأعاجم والروم والنصارى كيف يعكسون الأمر، يقصون لحاهم أو يحلقونها ويتركون شواربهم، وذلك عكس الحق الذي جاء به سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ وقد كان عيسى عليه السلام يستصحب مشطاً وكوزاً ووسادة، يمشط لحيته ويشرب بالكوز وينام على وسادة، ثم رأى رجلاً يسرح لحيته بأصابعه فترك المشط، ورأى رجلاً يشرب بيده فترك الكوز، ورأى متوسداً حجراً فترك الوسادة، فكان يسرح لحيته بيديه ويشرب بهما ويتوسد حجراً، فهؤلاء لم يوافقوا من هو جدتهم رسول ولا من هو عندهم إله ذو حية، - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -

ولكفرهم لم يحل في دين الله أن يقول الإنسان لسلطينهم ولا لأكابرههم سعادة فلان، ولا السيد بتشديد الياء، إلا سيد بكسر السين وإسكان الياء بمعنى الذيب، وذلك لأن الإنسان لا يحل له خطاب المشرك والمنافق بما يفهم ولاية أو يفهم تعظيماً أو يوهم السامع ذلك، إلا إذا كان يخافه على قتله أو ضربه أو ضره في بدنه أو على مال يموت بتفويته أو يزول به عضو أو منفعة عضو، لا إذا أحب الشهرة به أو الرياء أو جلب مال، وإنما تباح المعوضة ولو أوهمت السامع إذا خيف ذلك أو كان صاحباً أو جاراً أو نحو ذلك، والنصارى لا يضرون من لم يقل لهم السيد ولا سعادة فلان، وذلك من حيث الآخرة، وعنه عليه السلام: (من قال للمنافق سيد غضب الله عليه)، وأما من حيث الدنيا فلا منفعة في النصارى لأنهم أشحاء، فمن لا نفع فيه ديناً ولا دنياً مع أنه مشرك أو ذو كبائر مصر فلا كرامة له.

وإذا قال: سعادة فلان وأراد سعادة هي فلان للمبالغة أو سعيد هو فلان وأضاف للبيان في الوجهين أو أراد فلان السعيد وجعل المصدر بمعنى فاعل في الوجه الثاني والثالث فقد أصاب لفظاً وأخطأ ديانة، لأنه لا يطالبه المشرك بذلك، وإن لم يرد من ذلك شيئاً أخطأ لفظاً وديانة.

سبب وضع هذه الرسالة

وقد كان سبب وضع هذه الرسالة أن معسكر الإفرنجي الفرنسي وأصله من بلد روان في جوف فرنسا، جاء من باريس وقد أوصاه الوزير الوكيل العام بفرنسا ومن القوبرنور في الجزائر، والجنرال في الجزائر وكبير المدية أن يطلبوا مني خصوصاً وضع هذه الرسالة، وكتب ذلك عموماً لبني ميزاب أهل القرى الخمس، فطلبوا أيضاً وضعها مني، وأرسل النصارى في ذلك كتاباً يطلبون فيه ذلك، فأجبتهم بما ينفع الإسلام ولا يضره بإذن الله ولذلك فعلت، وأيضاً هؤلاء الطالبون ليسوا الآخذين بالجزائر وأعمالها

منا، وليسوا المقاتلين لهم "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" [الممتحنة 8-9]. وإنما الذين أخذوا الجزائر وأعمالها غيرهم.

الباب الحادي عشر

تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال

اعلم أنه إنما تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، وذلك أن الناس كلهم أولاد آدم وحواء والحاكم الله وهو المقدر سبحانه وتعالى، وهو الذي كلف البالغ العقلاء، فمن أطاع فهو المقدم لاتباعه الحق، قال الله عز وجل: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات 13] وقيل: إن ياجوج وماجوج من آدم وحده لا من حواء، كما أن حواء من آدم وحده من ضلعه اليسرى، وكما أن عيسى من أمه وحدها، وآدم من تراب، نام آدم واحتلم واختلطت النطفة بالتراب فكان منها ياجوج وماجوج، وذلك هو غير صحيح لمحيي الحديث بأن الأنبياء منزّهون من خروج النطفة منهم بالاحتلام، وعن أن يروا في المنام أنهم يجامعون أو يتلذذوا بنحو ذلك من أمر النساء في المنام، ولو صح لكانوا لم يصبهم الطوفان، واللازم باطل لقوله: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" [نوح 26]، فثبت أنهم من نسل نوح عليه السلام، وقد قيل: لم يصب قوماً آمنوا بنوح، وكانوا بعيداً منه، لم يعلم بهم فلم يحملهم ودار الماء عليهم من جوانبهم مرتفعاً.

وقد مرّ حكم العالم الكبير من غيرنا في عرفات بأن ديننا هو دين الله الحق، ومر توصية قدماء الإنكليز أقوامهم بالمسلمين كلهم خيراً، وقولهم أن المسلمين هم سيف

الله على عبدة الأصنام، وقد أقر بذلك للمسلمين دروي وزير المعارف العمومية بفرنسا إذ قال: بينما أهل أوروبا تائهون في دجى الجهالة، لا يرون الضوء إلا من سمّ الخياط، إذ سُمع نور قوي من جانب الأمة الإسلامية من علوم وآداب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وعلم التنجيم الصادق وتعبير الرؤيا وغير ذلك، إذ كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقندة ودمشق والقيروان ومصر وفاس وغرناطة وقرطبة وغير ذلك.

قيل: توجه شميرعش بن إفريقس نحو العراق يريد الصين، ودخل مدينة الصعد وهدمها، فسميت سمرقند أي ثمر خربها، وعمرت بعد قليل سمرقند، وقيل: بناها شميرعش، وكان به ارتعاش فقالت: العجم سمرقند، فقالت: العرب تعريباً سمرقند، وينسب إليها السكر لعظم جودته بها، فيقال: السكر القندي والعامّة تقول القندلي بزيادة اللام بين الدال والياء، كما يقال في مرسية مرسلها.

وقد امتد حكم الإسلام من الصين إلى جبل الشاران في الأندلس، وإلى فاس ومراكش، بل هما حادثتان كما مر، والسوس الأقصى، وقيل: إلى المحيط المغربي، وتوغل في الشمال والجنوب والقبلة، ولكن البعض يسبق بعضاً. ثم ظهرت جزيرة وبرّ فيها مسلمون ونصارى في قريب من نحو أربع مائة عام أو خمس، وبقيت فيها طائفة إسلام إلى قريب من وجودي، هذا ما سمعت، ثم اطلعت في بعض الكتب أن الإفرنج اطلعوا عليها في القرن الثامن من الهجرة، وأن فيها الهنود ويعنون بالهنود عبدة الأصنام، تملك منها أهل إسبانيا وبرطوقال وأهل فرنسا والإنكليز.

فصل في إكشاف أمريكا

ولما كان غبطة هؤلاء الإفرنج بساحل البحر، التجأ الهنود أهل تلك الجزيرة إلى أقصى البراري وتسمى الدنيا الجديدة، وسماها الإفرنج الدنيا الجديدة لأنهم لم يطلعوا عليها

إلا في القرن الثامن من الهجرة، ويقال لها أمريكا وعدد عُمّارها إلى عام 1278 تسعة وثلاثون ألف ألف 39000000 منهم مائتا ألف و أربعة وعشرون ألف ألف أهل كتاب 224000000، ثلاثة عشر ألف وخمس مائة ألف دهرى 13500000 وثلاث مائة ألف وألف ألف وثنية 31000000، وهذا العدد منهم خمس مائة ألف وأربعون ألف ألف حادثون.

أما أهل أوربة وما تناسل منهم كلهم بيض اللون، وأربع مائة ألف وسبعة آلاف سود ممالك وأحرار حادثون 4700000، ومنهم سبعة آلاف ألف سمر اللون حادثون 7000000، ومنهم عشرة آلاف ألف هنود وأمركانيون موصولون بها 10000000، ول هؤلاء خاصة ما يزيد على أربع مائة وثمانية وثلاثين لغة يتكلمون بها، وهي جزيرة عظيمة تمتد من البحر المتجمد إلى الجنوب، ولذلك اجتمعت فيها محاسن سائر الأقاليم إلا أن أرضها من جهة الشمال في نهاية البرد الشديد، لا تزرع فيها الزروع ولا تنبت فيها الأشجار، وبحورها مغمورة بالجليد حتى لا يمكن للمراكب أن يسافروا بها، وفي جنوبها تجد شجر النخل والأبنوس واللوز والقهوة وقصب السكر والليمون والقطن والفلفل وجميع النبات التي تنبت في البلاد الحارة، وهي مقسومة قسمين أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية، وللإسلام خاصة ينقوبار وهي نحو عشرين جزيرة في بحر بن مكاله، وإقليمها رديء على الغرياء.

لندا موسوم كثيرة الغابات وبها أشجار الفواكه وغيرها، وأهلها طوال شداد متناسبوا الأعضاء لوهم كالنحاس، أرباب خلقي حسن وإنسانية، يحسنون السباحة والعم ولهم علم شريعة وآداب.

وبالعلم يكون الإنسان حراً، كما روي عن عيسى عليه السلام أن أرسططيب بفتح الهمزة وكسر الراء وإسكان السين وكسر الطاء بعدها مثناة تحتية ساكنة وآخرها موحدة، طلب منه واحد أن يعلم ابنه الفلسفة فطلب منه أجرة التعليم خمسين درهماً، فقال

الرجل هذا المقدار يكفي في شراء عبد فقال: أرسطيب اشتر بها عبداً ليكون لك عبدان، يشير إلى أن ابنه يكون كالعبد إن لم يتعلم.

الباب الثاني عشر

في إزالة المعرفة عن إبانة المضرة

اعلم أنه صدرت أمور قباج، إما من بعض العسكر من الإباضية المحقة، أو من الإباضية غير المحقة كالصفرية، ولا يعاب على الإمام أو الرئيس بما فعل بعض العسكر بلا أمر منه ولا رضى ولا تقصير، فكل ما أذكر بعد هذا من سوء، فجابر بن زيد وأبو عبيدة وعبد الله بن إباح وأبو بلال وأشياعهم براء منه لم يفعلوه، بل جاهل من عسكر أو صفري أو نحوه من الطوائف، ففي عبارة بعضهم: إن الإباضية اجتمعوا في جامع البصرة حين مات أبو بلال وفيهم عبد الله بن إباح ونافع بن الأزرق ووجوه المسلمين، وعزموا على الخروج، فانظر كيف جعل نافع بن الأزرق إباحياً، وذكره مع عبد الله بن إباح، مع أن نافع ابن الأزرق صفري، فهو من الإباضية الصفرية، والإباضية الصفرية مبطلون ليسوا منا في شيء.

ومن ذلك ما ذكره أبو العباس في الكامل: إنهم لما بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ومضوا إلى النهروان، أصابوا مسلماً ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني أن يحفظ دمه بينهم، وأنه لقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل، فقالوا: إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فقال: ما أحيا القراء فأحيوه وما أمات فأميتوه، ووُثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه، فصاحوا به فلفظها تورعاً، وعرض لرجل منهم خنزير فضربه بالسيف فقتله، فقالوا له: هذا فساد في الأرض؛ فقال: عبد الله بن خباب ما علي منكم بالله إني لمسلم، قالوا: حدثنا عن

أبيك؟ قال: كان أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ...)) فكان عبد الله المقتول ولا تكون القاتل، قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر رحمهما الله تعالى فأثنى خيراً، فقالوا له: فما تقول في علي أمير المؤمنين قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في الحكومة والتحكيم، قال أقول: إن علياً أعلم بالله تعالى منكم وأشد توقياً على دينه وأبعد بصيرة، قالوا: إنك لست تتبع الهدى، إنما تتبع الرجال على أسمائهم، وقربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه فجرى دمه مستطيلاً على ضفة النهر.

وساموا رجلاً نصرانياً على نخلة له، فقال: هي لكم؛ فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بثمان، فقال: ما أعجب هذا؟؟ تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون مني نخلة إلا بثمان.

وذكر أبو العباس في الكامل أن عسكر قطرب بن الفجأة قاتلوا عبد العزيز وهو رجل أمير على عسكر، فقلبوه وكلهم موحدون، فأخذوا امرأة من عسكر عبد العزيز تسمى أم حفص بنت المنذر بن الجارود، وهي زوج عبد العزيز موحدة، فباعوها فيمن يزيد فبلغ بها مجوسي أسلم سبعين ألفاً، فوُثب إليها أبو الحديد فقتلها، وقال: إن هذه فتنة، فقال له قطرب: مهيم أي ما الأمر، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين تزايدوا في هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة، فقال: قطرب أحسنت، فانظر كيف جاز سبي الموحدين وكيف تباع الموحدة، وكيف تسمى مشركة، وكيف يكون إحساناً، فهؤلاء صفرية يحكمون على أصحاب الكبائر والمعاصي مطلقاً بحكم المشركين، فإن الإباضية الوهبية أهل الدعوة الميزابين براء من ذلك كله.

فقد ذكر أبو العباس في كامله أن عبد الله بن إياض المري مع بني مرة بن عبيد يقول: من خالفنا ليس مشركاً، وإنما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول، وإن مناكحتهم وموارثتهم والإقامة فيهم حلال.

قال أبو العباس في الكامل: ويقول عبد الله بن إياض نقول: وهو أقرب الأقوال إلى السنة، وقال إن نافع بن الأزرق خالف في ذلك كله عبد الله بن إياض.

وحكي أيضاً عن أبي يهس هيصم ابن جابر الضبعي أن هؤلاء عند الله مشركون، لكن تجوز مناكحتهم وموارثتهم والإقامة فيهم، لأنهم أظهروا الإسلام، فهذه ثلاثة أقوال صوّب منها أبو العباس في الكامل قول عبد الله ابن إياض.

و كل هؤلاء الفرق من الصفرية والنجدية وغيرها، يسمون خوارج، وتنسب إليهم أفعال قباح، والأشعرية كلما وجدوا في كتاب لفظ خارجي نسبوه إلينا، ولسنا خوارج وحدنا، بل كل من خرج عن سلطان جائر كما خرجنا عن الجورة أو خرج عن إمام عادل يسمى خارجاً، والجمع خوارج، والنسبة إليهم خارجي.

ومثل ما ذكر أبو العباس في الكامل ذكر محمد بن محمد في كامله، وزاد أنهم رأوا عصابة حين دنوا من النهروان، منهم رجل يسوق بامرأة على حمار فانتهره وأفرغوه، فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ يعني أن خباب صحابي، فقالوا: أفرغناك؟ قال: نعم، قالوا: لا روع عليك، وزاد أنه قال: عثمان محق أولاً وآخراً، و أنهم قالوا: لنقتلك قتلة ما قتلناها أحد و كتفوه وأنزلوه مع امرأته تحت نخل موفر فسقطت ثمرة فأخذها أحدهم إلى آخر ما مر، وأنهم أرضوا صاحب الخنزير في خنزيره، وأن عبد الله بن خباب قال: أمتموني وقتلتم لا روع عليك، وما أحدثت حدثاً في الإسلام، وأنه دمه سال في الماء، وأنهم أقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتقون الله؟ فبقروا بطنها، و قتلوا ثلاث نسوة من طيء، وأم سنان الصيداوية، ووالله ما حضر في ذلك أبو بلال، ولا عبد الله بن وهب، ولا عبد

الله بن إياض، ولا من يعتبر، وإنما ذلك من أفعال الصفرية المتعاطين مذهب عبد الله بن وهب وابن إياض وليسوا منه في شيء.

بل ذكر أبو العباس في كامله: إن مالك بن أنس المدني كان يرى رأى أبو بلال مرداس، وأنه كان يقول: والله ما اقتتل عثمان وعلي وطلحة والزبير إلا على الشريد الأعفر، وذلك مالك بن أنس المنسوب للمدينة، كما صرح به أبو العباس، وكذلك مالك بن أنس بن مالك البصري.

وقد أخرج الربيع بن حبيب أن مالك بن أنس الإمام لا يثبت الرؤية، وأما الإباضية بنو ميزاب فهم يلعنون الصفرية، ولا يستحلون دماً ولا مالا بمطلق الكبيرة، وإنما يبيحون الدم بحقه، كقتل وزى محسن، ويقولون لعلي: أنت الإمام الحق، ويقرون له بالإمامة والعلم والنسب وأنكروا عليه التحكيم، قائلين: إن مارد الله فيه الحكم إلى الحكمين، كصيد المحرم والناشر من الزوجين ارتد إليهما، وما حكم فيه ولم يرد الحكم فيه إلى أحد مضى حكمه، كقتال الفئة الباغية، ولم يجز لأحد التوقف فيه، ولا الشك أكان الحق إمضاءه أم تركه، وقالوا له: تب من التحكيم وارجع بنا إلى قتال عدونا. وعدوك أهل الشام، يومئذ فقتل منهم لذلك، أو لما كذب به عنهم، أو لما فعل بعض من جهل بلا أمر ولا رضى منهم أكثرهم، ويقال: قتل منهم أربعة الألف وبقي عشرة، وقالوا له: إن عهدك إلى معاوية بالتحكيم معصية يجب عليك نقضها ويحرم الوفاء بها، وهذا رد لقوله يجب الوفاء بالوعد، وقد صح أن علياً ندم وظهر له أنه عصى في قتلهم، لكن ندماً بمدحه إياهم، ولو نسب نفسه إلى الخطأ وتاب وأظهر خطأه لكفاه له خاصة و لأمثاله، وأما أن يمدحهم ويتمنى أنه لو لم يقتلهم فلا يجزيه، فقد روى عنه مولاة قبر أنه قال: صرنا هاهنا - يشير إلى المعركة - خيار الأمة وقراءها وجذعت أنفي و أشفيت غيضي، وخرج من عسكره في يوم واحد إثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين غضبا لله إذ قتل هؤلاء الإباضيين مع من معهم من

الصحابه، وقال: ليسوا بمشركين ولا منافقين ولا من الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا بل مؤمنون يذكرون الله كثيراً بغوا علينا بالخروج، وليس مطلق الخروج بغياً بل لو لم يحكم الحكمين، وقال له ابنه الحسن: لا يرى قاتلهم الجنة، فقال: نعم لا يراها؛ ليتني ادخلها حبواً، وقال لما فقد أصواتهم بالليل في العبادة: هم أسود النهار ورهابين الليل وهم قراؤنا و مجتهدونا.

وأما ما ذكره محمد بن محمد في كامله أنهم كانوا طالبين للتحكيم ثم تابوا عنه، فلم يصح، وإن صح فلتائب قبول توبته، ومن ذلك أنه قيل: إن أصحاب الخريت بن راشد وهم بنو ناجية وهو منهم، قتلوا رجلاً من الداهقين كان قد أسلم، وقد كان الخريت وأصحابه ممن خرج عن علي، فقال له رجل من جهة علي يسمى زياداً: فيم قتلت ذلك الرجل المسلم؟ فقال له ما أنا قتلته وإنما قتله طائفة من أصحابي، قال فادفعهم إلينا، فقال لا سبيل لي إلى ذلك، كأنه يرى أنه أن دفعهم له قتلهم، ورجع عليه وعلى أصحابه من بني ناجية ظلماً، وقد ضعفوا فلم يكن له ذلك.

الباب الثالث عشر

في فضل رسول الله ﷺ وفي التاريخ

أفضل الأئمة و الأنبياء والرسل هو سيدنا محمد ﷺ وأول ما خلق الله تعالى نوره ﷺ أعني خلق نورا سيكون محمداً ﷺ وبعد ذلك خلق القلم واللوح والنور الذي به يكتب و ذلك مشهور في الكتب وعند التلاميذ، وإنما ذكرت ما لم يشهر، وهو كون أول مخلوق نوره، وعنه: (أول ما خلق الله نوري).

وهاجر إلى المدينة من مكة عام [622] ستمائة واثنين وعشرين منذ مات عيسى عليه السلام، فكان المحجرة تاريخاً لأنها فرقت بين الحق والباطل، وكان بنو آدم يؤرخون

ببطوطه من الجنة إلى نوح، فكان التاريخ من مبعثه إلى الغرق، فكان من الغرق إلى نار إبراهيم عليه السلام، وأقدم التاريخ الذي يعامل تاريخ القبط الآن لأنه بعد انقضاء الطوفان، والروم يؤرخون بظهور اسكندر، وكذا يؤرخ اليونان، وأرخت القبط أيضاً بملك بخت نصر، وبنو إسرائيل من مبعث نبي إلى نبي، ولما كان عام الفيل جعل تاريخاً أيضاً، وكان أيضاً بنو إبراهيم يؤرخون من ناره إلى بنائه البيت، ثم بنو إسماعيل من بنيانه إلى أن تفرقوا، فكان كل قوم منهم خرجوا من تهامة يؤرخون بمخرجهم، ومن بقي منهم بتهامة كانوا يؤرخون بخروج سعد وتهد وجهينة حتى مات كعب بن لؤي، فأرخوا من موته إلى الفيل، ثم كان من الفيل، وكانت الفرس يؤرخون من إقامة كل ملك ويطرحون ما قبله.

وعلى قول من قال: ولد الرسول ﷺ ليلاً، يقال: ولد عند طلوع الغفر بفتح فأسكان، وهو ثلاثة أنجم صغار من المنازل، وهو مولد النبيين ﷺ، وذلك في شهر نيسان بفتح النون وإسكان الياء وهو سابع الأشهر الرومية وهو برج الحمل، قيل: ولد في برج الحمل، فقيل: يحتمل أن يكون في آذار أو في نيسان، والواضح عندهم أنه ولد في نيسان لعشرين ليلة مضت، وقيل: ولد ليلاً من غير تغيير الغفر، وآخر ما قال: الرفيق الأعلى.

فصل في خلافة أبي بكر عليه السلام

ثم أنه تولى الإمامة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر عليه السلام عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهو أفضل الخلق بعد الأنبياء، لم يخالف شيئاً من سنة رسول الله عليه وسلم إلى أن مات، كان هو والحرث بن كلدة يأكلان حريرة أهديت لأبي بكر، فقال الحرث: ارفع يدك يا

خليفة رسول الله ﷺ إن فيها لسم سنة، وأنا وأنت تموت في يوم واحد عند انقضاء السنة، وقيل: سم في أرز والذي سمّه يهودي بأمر من اليهود.
وعن عائشة رضي الله عنها اغتسل يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلا للصلاة، مات ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشر من الهجرة، وخلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وقيل: سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال، اجتمع عليه السم والحمى فمات، وآخر ما قال: توفي مسلماً وألحقني بالصالحين.

فصل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثم عمر رضي الله عنه بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب، وكان شديداً في دين الله متبعاً لرسول الله ﷺ وخليفة أبي بكر رضي الله عنه، وقال رضي الله عنه: (وما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفر من عمر). مات بطعن أبي لؤلؤة -وهو مجوسي وقيل: نصراني- يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولايته عشر سنين وستة أشهر مع ثمانية أيام، أو مع أربعة قولان، قال له كعب الأحبار رضي الله عنه: إنك ميت ثلاث فطعن بعد فجر الليلة الثالثة، وكان تأويل ذلك أنه يصيبه ما يموت به اليوم الثالث، ولما علم أن قاتله مشرك قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام، وقيل: يد رجل سجد لله سجدة واحدة، ومعنى ذلك أنه يشك هو في نفسه لو قتله موحد لعله قتله بحق، أو أنه لو قتله موحد لكان القتال والفتنة بعده بسببه، أو أشفق على موحد أن يحمل ذنب قتله، ودخل كعب عليه في الناس فقال:

توعدني كعب ثلاثاً أعدها ولا شك أن القول ما قاله كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ولما احتضر قال:

ظلوم لنفسي غير إني مسلم أصلي الصلاة كلها وأصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويلتم الشهادة حتى مات ليلة الأربعاء

فصل في خلافة عثمان بن عفان

ثم بويح عثمان سنة أربع وعشرين في المحرم لثلاث مضين منه عام الرعاف، وسمي بذلك لكثرة الرعاف فيه، وهو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ولد قبل رسول الله ﷺ بست سنين، ولقب ذا النورين لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم بعد موت رقية، قال له رسول الله ﷺ: (لو أن لي أربعين بنتاً لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة)، وقيل: لأنه كرم في الجاهلية والإسلام، وقال بعض الأشعرية: لأن له نورين يوم القيامة، ولكل أحد نور، وروى الأشعرية بعضهم حديثاً أنه رضي الله عنه قال له: (أنت ذو النورين) فقال يا رسول الله لم سميتي ذا النورين؟ فقال: (لأنك تقتل وأنت تقرأ سورة النور)، عدل ست سنين، ثم كانت منه أشياء، قتل وسط أيام التشريق يوم الجمعة، لثمان عشرة بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء، ومدة خلافته اثني عشر عاماً قيل إلا ستة عشر يوماً.

فصل في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ثم بويح علي بن أبي طالب وهو ممن شهر ولا يحتاج إلى ذكر فضائله من نسب وزهد وعقل وعلم وشجاعة وعدل، وليس به سوء سوى أنه قتل قوماً لا يستحقون القتل، وأنه قبل ذلك حكم الحكيمين وهو سبب الفتنة.

قيل: أول من بايعه طلحة بن عبيد الله فنظر إليه حبيب بن ذؤيب، فقال: إنا لله؛ أول من بايع من يده شلاء لا يتم هذا الأمر، ومدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر

ويوم واحد، وقيل: أربع سنين وثمانية أشهر وتسع وعشرون يوماً، ومدة إقامته بالمدينة أربع أشهر من خلافته و باقيها في العراق، ولما قتل حمل على جمل ليدفن في المدينة مع رسول الله ﷺ فبينما هم في المسير ليلاً إذ نَدَّ الجمل الذي حمله ولم يُدر أين ذهب ولم يقدر عليه أحد، وزعمت الشيعة أنه في السحاب، وقيل: وقع في بلاد طبرستان ودفنوه.

وقد أوصى أن يخفى قبره لعلمه أن الأمر يصير إلى بني أمية، فلم يأمن أن يمثلوا بقبره، وأيضاً علم غلو الشيعة من الروافض و غيرهم فلو ظهر قبره لعبده من يعبد منهم ولقرط فيه من يفرط منهم، وقيل: إن قبره بزاوية الجامع بالكوفة، وقيل: في قصر الإمارة بها، وقيل: بالبقيع وهو بعيد، وقيل: بالنخف في مشهد يزار، وقيل: الأصح أنه بقصر الإمارة بالكوفة، والتحقيق أنه لا يعرف قبره، وقيل: في ذلك المشهد أنه قبر المغيرة، وقال رجل: إنه قبر علي كان أبي يزوره به، وكان جعفر الصادق يزوره بأبي، وكان محمد الباقر يزوره بابنه جعفر وكان زيد العابدين يزوره بابنه الباقر، وكان الحسن يزوره بابنه زين العابدين.

فصل في خلافة ابنه الحسن

ثم ابنه الحسن بايعه الكوفيون، وأقام ستة أشهر وخمسة أيام، وسلمها لمعاوية على أن يقضي ديونه، ولا يأخذ أحداً من أهل المدينة ومكة والعراق بشيء مما كان في حياة أبيه، وأن تكون له الخلافة من بعده، وكانت بعد ذلك الخلافة في بني أمية وهم يجورون في الحكم والغنائم والزكاة، وعدل منهم الإمام الحقيق عمر بن عبد العزيز.

فصل في إمامة عبد الله بن وهب الراسبي

لما بايع المسلمون عبد الله بن وهب، وخطبهم خطبة تعرفها الطلبة من الجواهر، فكانت الحرب بينهم وبين علي وأصحابه، وقيل: بويع شبت بن ربيعي التميمي،

وقيل: إن شبت بويع على أنه أمير القتال، وأن أمير الصلاة عبد الله بن الكوي الشكري، روي أنهم اجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب فزهدهم في الدنيا و أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وتكلم بذلك أيضاً وقال: لا بد من عماد و راية تحفون بها وترجعون إليها، فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان و شريح بن أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال: هاتوها؛ أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت، فبايعوه لعشر خلون من شوال.

فصل في إمامة أبي بلال مرداس بن أدية

ثم أبو بلال مرداس بن أدية، ثم كان عمران بن حطان، ثم إلياس بن معاوية ثم الإمام عبد الله بن يحيى ومن معه من الشراة، روى أن أبا بلال خرج في أربعين وهزم ألفين، فلام الناس أمير العسكر أسلم بن ذرعة، وذمه ابن أبي زياد فقال: لأن يذمني ابن أبي زياد حياً خير من أن يمدحني ميتاً، وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومر بصبيان صاحوا به: أبو بلال وراءك؛ فكبر ذلك عليه، فشكا بهم إلى ابن أبي زياد، فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه.

و نذرت امرأة شبيب غزالة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الأولى البقرة وفي الثانية آل عمران، فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وقت بنذرهما، والحجاج في الكوفة في خمسين ألفاً.

وعمران بن حطان من الإباضية الوهبية أهل الدعوة، وقال المبرد: إنه من الصفرية، أما المبرد فعالم متقدم قريب إلى تلك الوقائع وهو ضابط متقن لا يطعن فينا بل له ميل إلينا لأجل الحق، وقد كان مغرقاً بين الإباضية والصفرية ولا يشكل عليه أمرنا.

وأما أصحابنا فأوثق منه وقد شاركوه في العلم ولعلمهم أعرف بأصحابهم منه، إلا أن كل من رأيت في تأليفه منهم ذكر عمران بن حطان متأخراً عن الميرد، وكتاب الميرد اتصل بيدي ونظرت فيه بعيني ولم يحك لي عنه ولا عن كتابه كتاب آخر والله أعلم، والواجب على من عرف من كتابين من كتب أصحابنا أو عن كتاب واحد من كتبهم قد تصفحه الثقات أنه منهم وأنه متولى أن يتولاه.

وذكر أصحابنا أن منهم بيهس وكهمس رحمهما الله، وقال الميرد: بيهس صفري يقول من فعل الكبائر مشرك ولكن لفظ الميرد أن أبا بيهس رد على عبد الله بن إباح قوله: أن من خالفنا ليس مشركاً وإنما هم كفار النعم، ولكن أصحابنا أعرف بأصحابهم من الميرد، وأن الميرد يسميه أبا بيهس هيضم بن جابر الضبي، ولعل ذكر أصحابنا له بإسقاط أب اختصاراً، وهو على ظاهر ذلك بأن يكون بيهس من أصحابنا كما ذكر أصحابنا وأبو بيهس صفري هو أبوه كما ذكر الميرد والله أعلم.

الباب الرابع عشر في مشاهير المائة ممن ترجم عليه

الخمسین الأول من المائة الأولى

ففي الخمسين الأولى من المائة الأولى على عهد رسول الله ﷺ أزواجه ﷺ و خديجة منهن قبلهن ﷺ، وسريته مارية القبطية أسلمت فتسراها، وبناته وبنوه، وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة، ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحمزة بن عبد المطلب والعباس عماء ﷺ وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وسالم مولاه وأبو ذر الغفاري بكسر الغين وتخفيف الفاء، وعبد الله بن العباس وعبد الله بن وهب الراسي و زيد بن حصين الطائي وعدي بن حاتم وحر قوص بن زهير قالت عائشة: (لا يدخل قاتله الجنة)، وشريح بن أوفى

وشريح بن نوفل وسلمان الفارسي، أسلم وهو سابق من أسلم من الفرس إلى الجنة، وصهيب الرومي وهو عربي أسرته الروم ونشأ فيهم فلما كان الإسلام دخل فيه وخرج من دين الروم، وهو سابق من أسلم من الروم إلى الجنة، وزيد بن صوحان وعبد الله ومحمد ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي، وخزيمة بن ثابت الذي قال فيه رسول الله ﷺ أن شهادته وحده تقوم مقام شاهدين، وأويس القرني وليس صحابياً، ومالك الأشتر النخعي وبلال مولى أبي بكر وموالي رسول الله ﷺ وبلال سابق من أسلم من الحبشة إلى الجنة.

فصل الخمسين الثانية من المائة الأولى

ومن أهل الخمسين الثانية جابر بن زيد وعبد الله بن إباح والأحنف بن قيس وهو مقبول عند الناس كلهم، وقريب الأزدي وزحاف الطائي وأبو بلال مرداس بن حدير بالحاء المهملة ويقال بالجيم وكهمس وبيهس والمستورد بن علقمة وعمران بن حطان وجعفر بن السماك وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وصحاري العبدي وعبد الرحمن بن ملجم وكل من علم أنه قتل علماً استعظم الأمر وهو كذلك، إلا أنه كل من علم أن علماً قتل جماعة عظيمة من المسلمين بلا موجب بل قتلهم مع قولهم: إنك إمامنا ونحن رعيته عارفون فضلك لا نترك إمامتك وأنت الحق تبين له الأمر.

فصل الخمسين الأول من المائة الثانية

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة الثانية أبو عبيدة مسلم وأبو نوح صالح وأبو عبيدة القاسم بن سلام وضمام ابن السائب وأبو مودود حاجب، وطالب الحق عبد الله بن يحيى وأبو حمزة المختار وبلج بن عقبة وأبو الحر علي بن الحصين وأبو روح بن كنانة والجلندي بن مسعود وسابق العطار وعبد الملك الطويل والمعتمر بن عماره وحيان الأعرج وأبو الخطاب وعاصم السدراقي.

فصل الخمسين الثانية من المائة الثانية

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة الثانية الربيع بن حبيب وعبد السلام بن عبد القدوس وأبو سفيان محبوب والفضل بن جندب وموسى بن أبي جابر وبشير بن المنذر والوضاح بن عقبة العماني وأبو المهاجر الكوفي وعبد الملك بن صفرة وأبو داود القبلي وإسماعيل بن درار الغدامسي وعبد الرحمان بن رستم وابنه عبد الوهاب ومسعود وعمران بن مروان الأندلسيان وأبو العباس ويبيب بن زلغين.

فصل الخمسين الأولى من المائة الثالثة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة الثالثة الإمام أفلح وأبان ابن وسيم وأبو عبيدة عبد الحميد الجناوني وعبد الخالق الغزالي وأبو خليل الدركي الإمام المهنا وعزان بن الصقر العمانيان.

فصل الخمسين الثانية من المائة الثالثة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة الثالثة هاشم بن غيلان ومحمد بن محبوب والصلت بن مالك وأبو المؤثر الصلت بن الخميس العمانيون وعيسى بن العلقمة المصري وأبو اليقظان محمد بن أفلح وعمروس بن فتح البقوسي وهود بن محكم مفسر القرآن.

فصل الخمسين الأولى من المائة الرابعة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة الرابعة أبو مالك غسان بن محمد وأبو خزر يغلي بن زلتاف وأبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو مسور اليهراسني وأبو صالح جنون ابن بمریان الورقلي وأبو الربيع سليمان بن زرقون.

فصل الخمسين الثانية من المائة الرابعة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة الرابعة الإمام سعيد بن عبد الله العماني وابن بركة عبد الله بن محمد العماني وأبو نوح سعيد بن زنگيل المزاني وأبو عبد الله البغطوري ولؤاب بن سلام و وافي بن عمار.

فصل الخمسين الأولى من المائة الخامسة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة الخامسة الإمام إبراهيم بن عبد الله الحضرمي وهارون بن موسى بن سدرين من أهل الحامة وأبو محمد بن الشيخ الوغلاني من و غلانة وأبو الربيع سليمان بن شاكر الفطناسي.

فصل الخمسين الثانية من المائة الخامسة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة الخامسة أبو الربيع سليمان بن يخلف الزواغي وأبو سليمان داوود بن أبي يوسف الورقلي وأبو العباس أحمد بن محمد بن بكر وأخوه أبو يعقوب يوسف و ماكسن بن الخير وأبو [يعقوب] أبي عمار.

فصل الخمسين الأولى من المائة السادسة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة السادسة أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورقليان وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي و تبغورين سنفلاني بن عيسى الملقوطي وأبو عبد الرحمن الكرثي وأبو جعفر مسعود المصعبيان وهما في مليكة أعني شعارهما وإبراهيم بن مناد وهو في العطف وهؤلاء الثلاثة المصعبيون من زناتة.

فصل الخمسين الثانية من المائة السادسة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة السادسة أبو سهل يحيى بن إبراهيم الورقلي وعبد الله سحيماء النصيري وأبو تحمة المصعبي.

فصل الخمسين الأول من المائة السابعة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة السابعة أبو نصر فتح بن نوح الملوشي وأبو سهل يحيى بن يوسف بن إبراهيم أبوه مؤلف العدل والإنصاف.

فصل الخمسين الثانية من المائة السابعة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة السابعة أبو موسى عيسى بن عيسى الطرميسي وأبو الحسن علي بن يسفاو وعبد الله بن أبي عثمان.

فصل الخمسين الأول من المائة الثامنة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة الثامنة الشيخ أبو عزيز وأبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي وأبو ساكن عامر بن علي الشماخي والشماعنة عرب وقد أوصلت نسبهم متصلاً إلى سيدنا هود عليه السلام في حاشية الإيضاح في أولها.

فصل الخمسين الثانية من المائة الثامنة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة الثامنة أبو القاسم البرادي وأبو عمران موسى بن الشيخ عامر وابنه أبو الربيع سليمان بن موسى ومحمد بن عبد العزيز المصعبي وهو من أجداد المؤلف المولى محمد اطفيش.

فصل الخمسين الأول من المائة التاسعة

ومن أهل الخمسين الأولى من المائة التاسعة أبو عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي و عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المصعبي المذكور وهو من أجداد المؤلف محمد اطفيش و زكرياء بن أفلح الصدغياني وأظنه أكبر سنأ من شيخه أبي مهدي عيسى بن اسماعيل المصعبي أخذ عن أبي مهدي وبقي أبو مهدي بعده.

فصل الخمسين الثانية من المائة التاسعة

ومن أهل الخمسين الثانية من المائة التاسعة هذه أبو النجاة يونس بن سعيد بن تعاريت وسعيد بن علي الخيرين الجري نسباً المصعبي مسكناً وأيوب بن قاسم التحيني وتجنينة العطف وعبد العزيز بن يحيى من أهل غرداية والشيخ احمد بن سعيد والإمام محمد بن اسماعيل العماني، ومن أهل الخمسين هذه أبو مهدي اسماعيل وأبو سليمان داود بن إبراهيم. ولا يظن الجاهل أنه لم يكن إلا قليل مع هؤلاء، وإنما ذكرت أحاداً من آلاف كل زمان.

الباب الخامس عشر في فضل بعض مشائخنا

سألني ذكر فضل الشيخ محمد بن بكر وجدي محمد بن عبد العزيز ويقال: أبو محمد أيضاً، ولعل القائل يقول أبي محمد بإضافته إلى نفسه، وكان القائل من ذريته وهم كثيرون، فشاع أبو محمد ظناً أنه كنية، وسألني ذكر فضل أبي مهدي عيسى، فأما هما فيكفي فيهما ما تقدم من جريان نسبة الدين عليهما.

وقد كان جدي محمد بن عبد العزيز ذا مال كثير، ودفع داهية عن بني يسجن وقالوا له: اشترط؛ فاشترط أمورا منها: أن بناته وبنات بنيه ما تناسلوا إذا طلق واحدة زوجها يعطيها ريانة، أما بقية صداق وإما متعة، وإن كان بقية صداق فهو صداق آجل، وقد قدمه عاجل، وغيرهن تأخذ نصف ريانة، ويذكر أن عدوا قصده فوارته شجرة العنب، فيقال: أن ذريته إلى الآن لا يحرقون حطب شجرة العنب لذلك، ومن سيرته شدة النهي عن التزيين للبنات وإبرازهن.

وقد كان شيخه أبو مهدي عيسى بن اسماعيل كذلك أو أكثر، وكان كثير الورع، لما أخرج أهل مليكة أولاد عبد الله ظلماً لم يخرج من داره اثنا عشر عاماً، ويقول: أنهم شركاء في البلد جاؤوا من المغرب وتيهرت ونزلوا غرداية وأخرجوا، ونزلوا مليكة وأخرجوا، ثم نورة ثم العطف، وكان كثير الرد على المخالفين الذين يجادلونه ويقهرهم بالحجة والحمد لله، وهو من العرب المالكية أولاد نائل، فدخل مذهبنا لأنه رآه صواباً، وكان عالماً فهماً فأدرك ذلك رحمته الله، فكان إماماً في المذهب بل في الأمة كلها، وعاب عليه المالكية من المغرب دخوله في المذهب، فلم ينصت إليهم.

وأما الشيخ محمد بن بكر فقام مقام الإمام العادل حين عدت الإمامة، وكان يشي في أريغ، ويربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم، وكانوا واصلية على مذهب واصل بن عطاء، وهم معتزلة، فرد بعضاً إلى الوهبة.

قال ومعنى قولهم: اصطحبوا بالناس على المكروهات لئلا تفترقوا، اصطحبوا بهم على ما تركه النفس ويصعب عليها من المباحات، مثل النزول للمسافرين للارتحال، وحسن المعاشرة وقلة الاختلاف، وكان له وعظ بليغ وورع شديد وحوطة وكانت له فراسة تصدق.

روي أنه سمع بجماعة من أهل درجين اقبلوا يزورونه، وعنده يعقوب بن أبي القاسم، فسأله عن شاة اللحم بالشراء، فقال: يعقوب لا أعلم شاة إلا عند امرأة في آجلو، فقام ودخل العريش وقعد هنيئة، فقال: قم يا يعقوب انظر إلى القبلة، فقام فنظر فلم ير شيئاً، فرجع وقعد هنيئة، فقال: قم فتطلع، فقام ونظر، فقال: أرى شخصاً، فقال: انظر هل كان معه شيء، فنظرت فقلت له: أرى معه شيئاً يخرج أحياناً من الطريق ويدخل أحياناً، فترى له قليلاً فقام إليه فوجده رجلاً من بني وليل ومعه شاة فذبحها للشيخ، فجاء جماعة من بني درجين فذبحها لهم.

وقال يعقوب ابن أبي القاسم: كنت عند الشيخ، فقال: قم وأمر الرومي أن يزيد في غذائنا، فقممت وأمرته فزاد فيه وقعدت ملياً، فقال لي: قم انظر إلى ناحية الشمال، فنظرت إلى بغلة عليها راكب، فأخبرته فقعدت ملياً، فرجعت إليه فوجدته الشيخ أبو عبد الله بن الخير رحمته الله، فنزل عن بغلته فأشكلها فجاء فسلم على الشيخ، فناجاني الشيخ، فقال لي: قم وأمر الرومي أن يزيد في غذائنا، فنظر إليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن الخير رحمته الله، فقال: كأني أعرف ما تقولان: اصبر هاهنا شيء حاضر، فنزع خرجه فإذا فيه طعام مطبوخ، فقال لي الشيخ قل للرومي يترك لئلا يفسد الطعام.

وروي أنه جاء أضياف ولم يكن عنده ما يذبح لهم، وغنمه في البراري فقعد قليلاً فقال لمرحوله: انظر أكان شيئاً في العريش فطلع في العريش رجل فوجد فيه كبشاً كبيراً، فأخذه وذبحه، ولما قدم رعاة غنمه سأله عن غنمه فقالوا: لا بأس إلا أن الكبش الكبير دارت عليه زوبعة فغاب.

وقال أبو الربيع سليمان ابن يخلف: كنت عند الشيخ ذات مرة له عمال يعملون، فقدم إليهم بسراً ليأكلوه، فقال لي الشيخ: كل معهم يا سليمان، فأبيت فقال لي: إن المطاوع مشكور الحال فأردت أن أقول: ولو فيما لا ينبغي؟ فسكت؛ فقال يا سليمان ليس ذلك مطاوعاً، فأخبرني عما أجبته به في نفسي، قال المؤلف امحمد اطفيش كأنه أشار أبو الربيع إليه، كيف أطلقت أن المطاوع مشكور الحال ولم تقيده بما ينبغي، فأجابه الشيخ بأن الموافق فيما لا ينبغي ليس مطاوعاً، وفيه أنه مطاوع قطعاً، الجواب: أن الموافق فيه ليس مطاوعاً مراداً لي بل مطاوع لم أرد، ولا مطاوعاً في أمر الأمر إذ كان ممن يدعى الإسلام، وبالجمل فمقامه في العلم والعمل عظيم،

وفوق كل ذي علم عليم. انتهى الكتاب بعون الملك الوهاب

الفهرست

الموضوع	الصفحة
01 مقدمة المؤلف	03
02 الباب الأول فيما جاءت به التوراة والإنجيل وغيرها من إثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونفي الشراكة عن الله تعالى، وتحريم الخمر والخنزير	03
03 الباب الثاني في أجداد بني ميزاب في هؤلاء القرى الخمس	17
04 فصل في تسمية يسجن	17
05 فصل في تسمية غرداية	18
06 فصل في تسمية مليكة	19
07 فصل في تسمية بنورة	20
08 فصل في تسمية العطف	20
09 فصل في اعتناق أهل ميزاب مذهب الإباضية	21
10 فصل في نزوح بعض العائلات إلى ميزاب	21
11 فصل في الأنساب	24
12 الباب الثالث من الرسالة في بيان بعض ما يعيبه المخالفون على الإباضية	33
13 الباب الرابع من الرسالة في مذهب الإباضية وديانتهم وفضائل البربر	35
14 فصل في نسبة الإباضية إلى عبد الله بن إياض	39
15 فصل فرقة النكار	41
16 فصل: فرقة الخلفية	42

17	فصل فرقة النقيّة	42
18	فصل فرقة الفرثية	42
19	فصل فرقة السكاكية	43
20	الباب الخامس من الرسالة في تسمية بني ميزاب	43
21	الباب السادس من الرسالة التوافق في الديانة هو سبب ارتباط أهل تيهرت في زمان الإمامة وأهل هذه القرى الخمس بأهل عمان وزنجبار	44
22	فصل في إمامة أبي الخطاب المعافري	45
23	فصل استشهاد أبي الخطاب وهروب عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب	46
24	فصل في إمامة أبي حاتم	47
25	فصل في نسب البربر	47
26	فصل في الأئمة الرستميين	51
27	فصل في تاريخ تيهرت	52
28	فصل في تسمية عمان	54
29	فصل في إمامة عبد الوهاب	54
30	فصل في إمامة أفلح وابنه محمد وابنه يوسف	55
31	فصل في نصرة نفوسة للدولة الرستمية	55
32	فصل في وقعة مانو و انقراض الدولة الرستمية	56
33	فصل في هروب يعقوب بن أفلح إلى ورقلي	57
34	فصل في ذكر أسماء الملوك والسلاطين	57
35	الباب السابع في انتشار الإباضية بين المشرق والمغرب والسودان	58
36	فصل في معنى قول بعضهم لسنا في ظهور ولا شراء ولا دفاع ولا كتمان	61
37	فصل في نسب الدين	62
38	فصل في البلدان	65

39	فصل في أفضلية أهل البلدان	66
40	الباب الثامن من الرسالة إذا اجتمع الشح وفساد الدين وحب الدنيا	67
41	فصل في تسمية الروم	69
42	الباب التاسع في نعت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند النصارى والروم	69
43	الباب العاشر قد علمت أن لإبراهيم حية لا يقصها	73
44	فصل في سبب وضع هذه الرسالة	74
45	الباب الحادي عشر تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال	75
46	فصل في اكتشاف أمريكا	76
47	الباب الثاني عشر في إزالة المعرة عن إبانة المضرة	78
48	الباب الثالث عشر في فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم و في التاريخ	82
49	فصل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه	83
50	فصل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	85
51	فصل في خلافة عثمان بن عفان	85
52	فصل في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه	85
53	فصل في خلافة ابنه الحسن	86
54	فصل في إمامة عبد الله بن وهب الراسبي	86
55	فصل إمامة أبي بلال مرداس بن أدية	87
56	الباب الرابع عشر في مشاهير المثات ممن ترحم عليه الخمسين الأولى من المائة الأولى إلى الخمسين الثانية من المائة التاسعة	88
57	الباب الخامس عشر في فضل بعض مشائخنا	93